فيء الروح (١)

(زخات حبر.. وياسمين..)



اسم الكتاب: فيء الروح.. زخات حبر.. وياسمين.. الجزء الأول

التأليف: وصال تقة

موضوع الكتاب: خواطر أدبية

عدد الصفحات: 224 صفحة

عدد الملازم: 14 ملزمة

مقاس الكتاب: 14 × 20

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2320 / 2017

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 278 - 605 - 3

1438 هـ

2017 م

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

darelbasheer@hotmail.com

darelbasheeralla@gmail.com

ت: 01152806533 - 01012355714



في الروح (1)

(زخات حبر.. وياسمين..)

وصال تقة





إهداء

إلى ترنيمة المساء، وعبق المطر، وفيء الروح..

إلى الراكضين..

إلى المصلوبين على مقاصل الحياة..

إلى كاسري الأوثان، وإلى متحيني الاقتحام..

إلى الصامتين، وإلى من طال حديثهم..

إلى الصادقين،

إلى الصابرين، واليائسين، وإلى معانقي زخّات النور..

إلى عابري الحياة المثقلة بالأوجاع..

إلى من نصحوني أن أجمع تدويناتي بين دفتي كتاب.

اقتحام

ها أنا ذي أحاول جمع شتات فكري المبعثر؛ لأكتب مقدمة تدوينات يزدان بها رصيدي في البوح.. فيتبعثر كلُّ الحرف، وينقطع سمط الكلمات، وأرى أسراب الفوضى تهجم على سيل أفكاري، فتتبرأ مني اليراعة، وتسقطني قراطيسي فأصبح ملكة من غير عرش، وحاكمة من غير محكوم.

تراودني فكرة أن أستهل نزف قلمي ورشاحة حبري بحديث منمَّق عن الحكمة، أو تعريف مطوَّل للبصيرة، وأن أطيل المكوث بين مقامات فوائد التأمل وتدوين الخواطر، فتخونني قواميس اللغة، وتحلق العبارات تبغي تحررًا من أقفاصها.. وأخشى - قبل ذا وذاك - أن يُظَنَّ أنني حكيمة، وما أنا سوى رهينة خدوش الحياة.. ما زلت أحبو في شعابها المترعة بالخذلان، أنكب من ذات الخيبة، وألدغ من جحورها مرات ومرات.. أستوعب كلَّ مرة من الدرس جزءًا، وبعد كل شجة أضطر إلى فتح صفحة جديدة إلى حين خيبة جديدة من خيبات المجبولة على الأكدار.

تراني أصلح أن أكون معلمة في مدرسة الحياة؟

إن قلت: ذي عصارة تجربتي وزبدة تأملاتي؛ فقد يقال: ومن قال إن الحياة تمنحنا خط النهاية في التجارب!؟ ومن قال إن للدروس نهايات!؟

وإن قلت: أشرك القارئ انفعالاتي وأحاسيسي ونظرتي لما حولي، فقد يمضي وقته بحثًا عني وراء السطور، يفند تارة ما أراه، ويصدم قولي بقولي ويلزمني بمقتضاه، وأنا ما اقتنعت يومًا بالثبوت؛ فمفارقات الحياة كم تلون نظرتنا لتفاصيل الحياة.

فيا أيها القارئ النبيل، خذ كلامي، واسمع نصيحتي، ولا تبحث وراء حروفي عمَّن أكون؛ رحمة بك وبي..فما أنا سوى ذنب يمشي على الأرض.. ونزف حبر شكَّلته متاهات الحياة.. قد أحسن القول بلساني، والحال ربي به عليم.

إذًا.. بلا مقدمة.

وما نفعتنا وحدها إن كانت الأمور بخواتيمها؟

اكتب ما شئت هنا، ولوّن بياض الصفحة بما تحب.. واختر لنفسك المقدمات.

تخير بداية، وقبلها خاتمة..

ثمة نهايات هي الحاسمة.

أبواب الكتاب



تراتيل الفجر

- وفجرك الذي استللته من بين سدول الليل البهيم، عمّر جنباته ذكرًا وشكرًا وتسبيحًا، والتحمْ مع الكون في رحلة التسبيح الفجرية النورانية. أتسمع زقزقة ذلك العصفور المُوَكل بإيقاظ أصدقائه، وترنيمة الطيور بعده في انتشاء يسبحون بحمد مَن أحياهم بعد موتٍ، وجعل رزقَهم في غدوٍّ ورَوَاح؟ أتسمع نقيق ذلك الضفدع في الغدير، وقد حمل سكون الفجر تسبيحَه؟ أسمعت أزيز النحلة، وهديل الحمامة فوق السطح تشجن؟ أسمعت شدى النسمة، وعويل الرياح، وزمجرة الرعد، ولجلجة السحاب، وانفجار الحجر، وطقطقة حبات المطر؟ كلُّ ما يُسمع، وكل ما توحد البارئ بسمعه وانفرد، قد استفاقَ يُسبح بحمد السبوح القدوس.. فاحجز لك مكانًا بين من سبَّحوا، ومن هلَّلوا، ومن شكروا لله وكبّروا.. وتزوّد به على عبور يومك؛ فإن لك في النهار الممتد تعبًا وكدًّا.. وسبحًا طويلا.
- أيتها الخيوط المتسللة خلسة لتوقظ أجفاني، أتمِّي مشروعَك النوراني، وأيقظي روحي، واحمليها معك في رحلتك السرمدية لمعانقة النقاء!

- في أحداق الفجر تنبت الأمنيات.. تلك التي سقتها مدامع النجم.
- يا طلة الإصباح المتربع فوق أكاليل الندى.. يا نور الشمس المقتحم شقوق الشبابيك والأبواب ومنافذ قلوبنا.. يا تواشيح الفجر وترنيمة العصافير الشدية..

يا أيها الربيع، تدلَّل؛ ثمة أناس ينتشون بِطلَّتك، ويشربون حتى الثمالة من كؤوس بسمتك.

- الصبح الذي لا يلهمك أن تبدعَ للكون لوحاتٍ أجمل مما أبدعت بالأمس، وجهٌ مصغَّر لليل.. إن لم تدرك أنك في كل يوم جديدٍ وليدٌ جديد، تشرق الشمس من بسمتك، ويتضوّع الكون من عبقك، وتهتز تخومُ الأرض من إصرارك وتحديك وإنجازاتك؛ فما استحققتَ معاني الإصباح.
- اغمس ريشتك في سحر الصباح، ولوّن يومك بالعبق، وبالحمد، والثناء على مَن جعل النهار ضياءً ومعاشًا.. سبحانه.. وأقامك بعد طول رقاد.
- وكأيِّن من صباح أعلِّقه خلف النوافذ؛ حتى أعلم نواياه؛ كي يبدأ اليوم عندي.. إن بالأمل، فلأفتح له الأبواب.. وإن بغيره، فبقايا الليل في فنجان قهوتي يكفيني.

- صباحك أيتها الروح المهجورة خلف قضبان الأمنيات المتحللة كجثة منسية فوق التراب.. صباحك أيتها الأمنيات المتجاوزة بنزق الهروب.. أيتها المعطلة المؤجلة المنسية على الرصيف.. صباحك أيها العزم.. يا دفق الروح في عروق الأمنيات.
- ياخيوط الفجر النقية، احمليهم على رموش العافية، وانثري حولهم الصبح بسماتٍ وأعطياتٍ ومقاماتِ نشوةٍ وهناء.
- يا للصباح!! كم يتقن ترتيب تلك الفوضى التي تخلفها سرابيل الليل.. كم يتقن مداعبة البتلات المتشوفة للنور، ومسح دموع الزنابق الحزينة لحزن الشجر المتحين هطول زخات النسيم؛ كي يحرر بسمته.. يا للإشراق في عيون الصباح.. كم يمسح غبشَ الإياس من جفوننا!!
- أيها الصمت الجاثم فوق أنفاس هذا الصباح تنحَّ! ثمة أناس يستمدون العبق من ثرثرة خيوط النور، وهي تقتحم الجفون، تكمل عزف الليل لمطولات الدهشة.. فيشرق في أرواحهم الصباح.
- الفجر الذي لا يلهمك وجهًا جديدًا للحقائق، وترتيبًا لفوضى أعماقك، وتدشينًا لمسارات جديدة، ولقرارت عتيدة؛ وجهٌ آخر لليل الحالك. الفجر بداية جديدة.. كذلك فلتكن معه كل الأشياء حولك.

- عابس ذلك الفجر، الذي نحرمه تسابيح الإشراق.. واليوم أجدب.
- أغاريد وشذى زهر البرتقال وسماء مبتسمة.. ليس بين زنبقتي وحكايا الفجر الجميلة سوى بسمة، وجناحين، وعطر نيسان الفواح.. وإصغاءة لتراتيل الفَراش.. ومناديل مطرزة بالأمل.
- يتنفس اليوم الجديد؛ فتتنفس معه أرواحنا المثقلة بالحلكة.. تتخفف من حمل الديجور المستوطن بين الحنايا يثقل منها المسير.
- كالح وجه الإصباح في غياب رواء الأرواح.. واليوم أجدب.. إن لم يكن لك منه دقائق تستقطعها تذكُرفيها ربّك.. فاعلم أن الرانَ قد بلغ مداه.
- هذي الخمائل والنسائم وجدائل الياسمين، والشمس الماثلة بين السحاب، والغدير، والسنديانة، وعيون القادمين من رحلة الموت الصغير؛ كلُّها تتحيَّن بسمتك كي تعلن الصبح الجديد.
- عبق هذا الفجر يشطرني طيفين: طيف تبتلعه المرايا.. وطيف يستكين منتظرًا شجن كروان الصباح؛ كي يمتد النور في مقلتي.

- وللشمس المتربعة كبدَ السماء اليوم حكاية.. حكاية عُقدتها التفاؤل، وحبكتها الرضا، وكلُّ شخصياتها، وكلُّ أماكنها، وكلُّ أحداثها؛ تسليمٌ، واستبشار، وتشَوُّف للجميل.. هكذا أشرقي كلَّ يوم يا شمسي، واسقيني أنوارك التفاؤلية، واحملي قلبي في رحلتك النورانية، ألقي عليه قمصان البشارة؛ كي تنبعث فيه الحياة من جديد.
- ميلاد جديد لفجر جديد.. دعوا شبابيككم مواربة.. قد يقحتمها الأمل.. واتركوا القادم الجميل يبعثر قصاصاتكم، لم تعد صالحة للترتيب.. في الكراسة مزيدُ وريقاتٍ، دعوها تنتشي بنفحة الصباح، وبِبَليل الندى وشذى الأمنيات.
- ونرنو لخيوط الفجر المتسللة من بين جدران الليل البهيم، فنرى فيها جزءًا منَّا.. ذلك الجزء الفارُّ من عتمة قلوبنا بحثًا عن شعاع الحياة.. وننظر لشمس الضحى المتزلفة للشجر، فنرى وهج الحياة في عيوننا تشع طموحًا وتعلقًا بالقادم الجميل.. وننظر إلى الفيء، فنرى حقائبنا المملوءة بزاد الغروب.. فننتشي للقاء بعد الفراق في جنان الكريم الجواد.. وتتوق أرواحنا لله، ولِمَا عند الله، ولعفو العفُوّ، ومنَّة الشكور، واسع الجود ذي الخزائن..

ألیس هذا الكون صورة مصغرة لنا!؟

- بلا قمر، بلا نجوم، كان مسائي.. وصبحي لم يسفر بعد.. يا أيتها الشمس التي أضاءت عتمة أيامي المنسكبة من بين يدي.. ويا زخات المطر التي أحيت - يومًا - أرضيَ الموات، المغادرة شبابيكي هذا الصباح؛ انسكبي فوق زجاج نافذتي، وفي شرياني، وفي عيني.. أيقظي روحي العطشَى للأمل.. للفرح.. لعيش السعداء فوق الأرض.. ليس لي من صبح في غيابك.
- ما الصبح عندي سوى ذلك الذي أشرقت فيه الشمس ساطعة برَّاقة، وغرّد فيه العصفور بلحنه الشجي، فعانقت روحي الصفاء، وانتشيْتُ لذات اللحن أسبّح بحمد الخالق، الوهاب، الكريم، المنان.. أما ذاك الذي تدثره السحب، ويختفي فيه نورُ الشمس الذي يقتحم زوايا قلبي كي أستفيق، ويقلع فيه عصفوري عن الشدو؛ فإنما هو مسخُ صباحٍ، وشبه من أشباه تلك البدايات التي تسمَّى يومًا جديدًا.. ما يومي الجديد إلا ما تجددت فيه عندي معاني الحب والصفاء، واليقين والرجاء.. وخفق فيه قلبي المرهف الصغير لمعانقة الأمل.. وغيره إنما هو رتابة مُميتة، وتكرار ممل للصباحات والمساءات، أطوي بها أيامي، أصل بها لنهاية الرحلة.
- ورودي تنتظر الفجر لتعبق.

- إنما جُعل الصباح لننسف العتمة.
- للصبح حكاية ترويها خيوط النور المتسللة خلسة لإيقاظ قلوبكم.
- لن يهزم الدجى خيوط الفجر المتسللة، ألم ترّ أن الليل إذا فارقه النهار؛ صار كسِلْخٍ ممسوخ؟

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾

- صبح ليس كباقي الصباحات.. ذاك الذي تتنسم فيه عبقَ أصيلٍ جميل قادم بعد سويعات.. وتتنبأ فيه بليل لابد راحل وإن طال، وإنما وجوده ليُسلخ منه النهار، وليعلمنا أن الأصل ضياء، وأن رحلة العتمة قصيرة مهما طالت. صبح ليس كباقي الصباحات.. ذاك الذي ترغمك فيه خيوط النور المتسللة إلى جفونك المواربة على الابتسامة.. ابتسامة لإشراقتها الصافية النقية، وابتسامة أن عادت إليك الروح بعد موتتك الصغرى، وابتسامة لأن لك ربًّا كريمًا يرزقك وإن أذنبت وقصَّرت، ويجعل لك مروجَ خيرٍ بين الأشواك، ويغنيك بفضله عمَّن سواه.
- وتنفس صبح جديد.. ما ضرني اليوم إن أشرقت شمسُه، أو لبَّدت سماءَه الغيوم.. هو صبح جديد، شئت أم أبيت، أطوي به أيامي، ويوصلني لساعة الرحيل.

- هذا الصباح مُزنة، قد ابتسمت لمرآها شقوق الخمائل، فأينعت البتلاتُ قبل أن تُنجَب، وحيّا عبقها الجمان المعلق في جيد السماء.
- الغيم في فصل الربيع وأدٌ لابتسامة الشمس.. ومعها ابتسامتي..

بعض الصباحات وسن.. امتداد لطيف الليل.. تأبى الشمس فيها أن تشرق وضّاحة، فتختفي وراء غيم الربيع.. وحتى المطر المحتشم يأبى الهطول.. ما بالك يا صباح؟ شمسٌ برّاقة، أو مطر مِدرار.. أما (النصف نصف) فشبْهُ صباحٍ، وشبه نور.

- ميلاد فجر جديد.. ودمع السماء يغسل الروابي والشجر والمدر والحجر.. وقلوب البشر. اغتسل بالفجر من ليلك العتيق.. وبالمطر من شُحّ المجبولة على الكدر. وفرّغ كلَّ الأمنيات دعوات صادقات لمن وعد بالإجابة لحظة خشوع قلبك في حضرة هيبة ورِقّة من جعله ربُّه مدرارًا، ينبئنا برحمة الرحيم ومنّة ذي العطايا والمنة والكرم.

شرع نوافذك..
خلف الزجاج صبح..

مــزنــك الــيــوم أمــطــرت نسيانا
طــوقــيــنــا لــكــي نهــيــم امــتــنــانــا
أمــطــريــنــا ســحــاب ســلــوٍ فإنــا
مــن صليب الجــلــمــود صرنــا سنانا
وزّعــــي الــبــسْــمَ مــن تفاصيل غيمٍ
سرّحــيــهــا لــكــي نــفــضّ الــعــنــانــا
كــفــكــفــي الــدمــع ثــوِّريــه هــبــاءً
آه يــا دمــعُ مــا ارتــضــيــت ســوانــا
فــجــرك الــغــضُّ أطــلــقــيــه ضــيــاءً
فــجــرك الــغــض أعــلــن العصيانا

- أكبر الخسائر أن تفقد التناغم مع نفسك، وأكبر الهزائم أن يشكلك الأسى كما يريد.. وأنت قادر على بعث الروح في أنفاسك المتشظية.

- انطلاق..

"تمدّد الصبح بين الغيوم يبغي نورًا، فتبسمت وريقات التوت، وحيَّت خيطَ الشمس الذي داعب أجفانها، وقالت: صباحك ربيعي أيها النور المتسلل خلسة إلى داري، أيقِظْ يرقةَ القزِّ التي هدَّها قضمي بالأمس، فوراءها نسج طويل، وشرنقة تنتظر غزلها مُذ قررت أن تهجر الدبيب، وأن تمدد جناحيها في الفضاء الرحب، وأن تداعب الأزهار وترشف رحيقها..علِّمها أن رحلة التحليق تبغي صبرًا، وأن الانطلاق الناجح يحتاج عزلة وتشرنُقًا.."

- أعشق في الربيع قدرته على التحدي والتجديد.. وعلى زرع الحياة في الذَّبول.
- أكبر جريمة نرتكبها في حق أرواحنا؛ أن نقبل بالمتاح.. فقط لعدم تصورنا لوجود بديل!
- ومازلنا نبحث عن وجه الصباح هناك وراء المدى، ونشنق النور بمشانق الركض والبحث.. ووجه الصباح في إكليل الندى الذي يطوِّق جيدَ الياسَمينة المتشوِّفة لبسمة السماء خلف زجاج نافذتك المغلقة كلَّ صباح.. شرّع نوافذك.. دع وجهَ الصباح يشرق من بسمة الرضا المتلألئة على وجهك.. ومن عبق الياسمينة المنسية خلف الزجاج.

- نحن من نغلق على أنفسنا سجونَ أفكارنا، ونمنع عنَّا رحابة الفضاء.. حتى إذا ما فرطنا - يومًا - سلاسلنا؛ اكتشفنا أن الكون أوسع مما كانت تلتقطه لنا عيوننا من خلال عيدان القفص.
- يا أيتها السنابل الحبلى بالربيع.. لا تلومي المطر الذي أغرقك.
- الريشة التي حملتها كي أرسم بها وجهَ الربيع سقطت؛ فنبتت تحتها أقحوانة.. وعقد ياسمين.
- معتوهون، أولئك الذين يضيّقون عليهم رحابةَ الحياة حولهم، ويحاصرون أنفسهم في شرنقة قرار.. يكفيهم أن يقصوا شرائط الأسلاك الشائكة الملتفة حولهم، وأن يلمْلمُوا شظايا أرواحهم المنتشرة في قلاع العبث.. وأن يقتحموا عوالمَ الصفاء والنقاء.
- حياة واحدة فقط.. ومازلنا نتلمس دروبها، ونتساءل.. هل حان وقت الاقتحام.
- ويا غيم الخريف، ويا طلة الشتاء المفزعة، لمن أقول بعد اليوم "شمس"؟ وأنا المزروعة في خيوط نورها.. لمن تحكي زنبقتي حكايا الصباح؟ لمن ستسكب عطرها؟ والشوق قد بعَث رسائل الحنين، تُشجي ليلها الحزين.. لمن تبث زنبقتي شوقها؟ يا نسيج المزن المتربص بالمطر، الجاثم فوق صدر

السماء، الماثل بين أصيص نبتتي وحكايا الفجر الجميل.. يا أيها الغيم.. وراءَك - أردت أم أبيت - خيوطُ شمس.

- قطعت أشواط الليل منذ أن قررت الشمس أن تنسحب في هدوء تاركة عرشها للقمر، إلى أن حثتها خطوتُها الناكصة المتولية إلى أن تتقدم خطوتين إلى الأمام.. تشرد العتمة، وتنشر عبقها على الوجود.. قطعت معها كلَّ تلك الأشواط، وحرقت المراحل، وشيَّدت أبراجًا، وحطمت أسوارًا، وسقطت في الحفر.. ثم خرجت منها - بعد ذلك - أكثر قوة وأكثر صلادة، وأكثر إصرارًا على متابعة مشهد الإشراق.. حملت كلَّ ندوبي وكلَّ ورودي وكلَّ حقائبي؛ كي أغفو سويْعةً في حضنك أيها الصباح.. فأنسى الليل والأشواط والأسوار والحفر لحظة نثارِ العبير وميلاد فجر جديد.. لست أخشاك أيها الصباح.. فمن قاوم بحثًا عن ومضة نور يهديها لمن حوله؛ لابد محبٌّ للمقاومين مثلَه.. الباحثين مثله عن محطة استراحة يستنشقون فيها الراحة، ويُقبرون فيها أسلحتهم وكدَّهم، وكلَّ أوجاع السنين.
- وجه الصباح يغريني بأن أفرد جناحي وأحلق هاربة مني.. كي أعود لأغرق فيّ.. صباحكم قوةٌ في بحثٍ عن ذواتكم.. قريبةٌ هي.. تنتظر - فقط - من يعزم ويفرد الجناح.. أعلمكم.. كي أستفيد مني.

- ازرعني، يا مطر الربيع.. حبة تحت التراب أخفتها الأشجان، تنتظر قطرًا يخرج أكمامها.
- دعوا أجنحتكم دومًا بالقرب..لا تعلمون متى تحتاجون فردها.
- ما نفعك الهروب يا صديقتي، وما نفعك أن تحجبي الشمس بإغفاءة عزف الريح الذي ترقصين على إيقاعه، وأدٌ للآمال وتعطيل لعقارب الزمن بالقرب من أسوار ما جعلت إلا للتحطيم، أو على الأقل لأن تُتجاوز. أتعلمين ما الأمل يا صديقتي؟ الأمل انهماك في الحياة.. لتعتنقي الأمل يا صديقتي.. وإلا فانهمكي في الموت.
- أستنشق عطر الصباح.. أملأ منهما شراييني.. فينبت بين الجوانح قرار.. أقلب صفحات دفاتري فيغيض العزم بين شقوق العبث والفوضى.. بين قرارات منسية كانت يومًا تحتاج فقط توقيعًا، فتراكمت عليها الذكرى، ولبثت سنين عمرها في سجن المستحيل. هذا الصباح.. يغريني بترتيب الملفات المنتظرة.. رب يسّرْ وأعِنْ وافتح واجْبُرْ، واقْدُر لنا الخيرَ حيث وُجد.
- كل أحزانك تهبُّ فجأةً كريح عقيم.. وتتساءل: ما بالُ الشجر السامق قد اجتُثت منه الجذور؟ وما بالُ الورد معلقٌ في المشانق؟ وكيف مات الجُمان على نحورهن؟ كل هذا الغرق.. وأنت مازلت تلعن الضفاف والمرافئ!.

- استرِقْ بسمةً ولو من بين شقوق الهم.. أغمض عينيك وابتسم.. أخرجها من الأعماق.. ستلاحظ أن رئتيك قد غيرتا الهواء الذي تتنفسه.. بسمة كما الزفرة.. اجعل عينيك يستقبلانها.. ابتسم.. بسمة عميقة.. تليق بفاتح ينشد تحرير مدن الرماد من قبضة الكآبة المستديمة.. اسرِقْ من دروب الحياة.. بسمة.
- لماذا نصرُّ على أن نعيش الحياة بكل العمق الذي فينا.. وإلا أن نعزف عنها عزوف زاهد مزيف، إذ لم يجد ما يملأ عينيه، اختار الانزواء؟
- ليس كل ما نتمناه نحققه، فلنعش كما الفراشات نتنقل بين الأمنيات، ونرشف من رحيق الأحلام، ونستعيضُ عمَّا لم نستطع إنجازه بما نستطيعه.. لا مكان للفراغ في بساتين الأحلام.
- تريد أن تكون على كل حال بخير؟ كرّر المحاولة.
- نبتة شطأت بأرض قحط، كلما همّت أن تنقب بين الأشواك عن عطر زهرة برية تعيد لأنفاسها الأنفاس؛ أدمتها.. فقررت أن تحبس القطر في جوفها.. يغنيها عن انتظار حَيَا الغيم.. وأن تنبت شوكًا تتحسس به هذا العالم، وتصد به نظرات المتشوفين.. وأن تولد من جديد كلما سقط منها جزء.

- كلماتهم حفرت في أحشائي خندقًا، وأقامت في شرياني سرادقات عزاء.. مصلوبة أنا على مقصلة العلا.. وروحي التوَّاقة ما رضيت يومًا بالمتاح.. أفيُدفن العبق، وما حنَّ يومًا إلا لتجيج السماء؟ أفتُسرق الرموش من جفون الورد، ويوأد البريق، وما رحل إلا في سبيل الضياء؟ أفنحن للأقفاص وذاك الجناح ما هدّه يومًا أن يجوب خمائل الفضاء؟
- وما الحياة إن لم نكن لنعيشها بعمق في كل تفاصيلها؟ وما عيشنا إن لم تكن لكلِّ لحظة آنية عندنا اتساع مساحة لحسن استقبال ما نحن فيه!؟
- قليل النور المتسلل من النوافذ لا يكفي.. النور اقتحام لا تستهويه الشقوق.. النور يحب الأبواب المشرعة.
- وحدك المسئول عن فشلك.. حينما ترتضيه لنفسك، وتتركهم يفشلونك.
- إن كان كلُّ مكسبك من متاهات الحياة بسمةً تسترقها من بين الشقوق، فحافظ على مكسبك رغم كل شيء.. قد لا يتسنى لك اللقاء به مرة أخرى إذا ما فرطت فيه.
- لا أصعب على النفس التواقة والروح الطموحة؛ من شبابيك المستحيل.. تلك التي لا يمكن بحالٍ أن تكون وهمًا، أو مجرد استصعاب.. بل هي – فعلًا – عوائق متربصة بالاستطاعة،

تمتحن منا اليقين.. لكنها وإن كانت موقنة بالاستحالة في نفسها؛ فهي تعلم أن القدير القوي لا يعجزه مستحيل.

- ستبدع وستتألق، وستحقق كلَّ آمالك بإذن الكريم، حينما ستقتنع بأن العطاء يلد العطاء، وبأن التفوق لا يحابي أحدًا.. وبأن يقينك في الذي وعدَ بمدده لِمَن بكرمه تعلق؛ ثابت لا يتزعزع.
- العجز أحيانًا.. اختيار.
- نحتاج مراتٍ عديدةً إلى اقتناص لحظة فرح.. إلى ترتيب أجواء نُحس فيها بالإنجاز، وبتحقيق بعضٍ ممّا سجدت قلوبنا لبارئها أن ييسر تحقيقها.. أن نقطع على الترقب سبلَ الانتظار.. وأن نقتحم.
- لا يأس، ولا كلل، ولا ملل.. كلما سقطت؛ فانهض، وأعِدِ الكرّة، وكلما أعياك حلٌّ؛ فجرّب غيره.. وهل تسمى حياة تلك التي لا تستقي كُنهها من الجرأة على المحاولة؟ إنما هي تكرار مملٌّ للصباحات والمساءات، تجرنا لإنهاء الرحلة.
- بعض الفشل يساعدك على تحويل مسارك.. واستئناف المسير بروح عالية وطاقة جديدة.
- بعض الجولات في الحياة تصر على ألا تخسرها، ليس لقوة فيك وبسالة للدفاع عنها.. ولكن فقط؛ لأنها تستحق ذلك.



- أمطِ الأذى عن طريق أحلامي، فإماطة الأذى عن الطريق صدقة.
- هل جربت – يومًا – أن تنتظر الشمس في كبد الليل، وأن ترقب النجوم من تحت الغيوم، وأن تقطف وردًا من نزف الجراح؟
- ليس لقطار المعرفة بالحياة محطةُ وصول نقف عندها، نحن نمضي ونستمتع باستكشاف خبايا الوجود، التي أعمانا الضباب – يومًا – عن رؤية جمالها المفعم بالمفارقات والمتناقضات.. وكطفل – بالكاد – يتفتح على ما حوله، يفزعنا الشر والصراخ والعويل، ويبكينا الألم، ويبهجنا لون الورود ونقاء السماء، وننتشي لتغريدة الطير، ويأسرنا بريق الشمس فوق رؤوسنا.. فإذا ما توقفنا – يومًا – عن رحلتنا الجميلة التواقة لكشف الأسرار، وفك الطلاسم والشيفرات؛ توقَّف نبضنا، وغاضت شرايينا بحثًا في أعماقنا عن بقايا إنسان.
- من ذاق طعم الحرية بعد طول حبس وعذاب، وتشوَّفت نفسه التائقة إلى الخلاص؛ سيرى في كل الأسلاك سجونًا، وفي كل الخيوط سياطًا، وفي كل الوجوه الجافية زبانية.. ومن كان حالُه حبَّ الرق والقهر والاستعباد؛ فلن يهنأ له بالٌ إلا في قبضة التتار، وقيد المغول، وتسلط رمسيس العالي فوق الأرض في الواقع المغرق في لجج الظلم والطغيان على الحقيقة.

- بعضُ من تضعهم الأقدار في طريقك.. قد يكون ذلك لدعمك في وقت لا يجيد سندك بعد الله إلا هم، وبعضهم قد يكونون بالقرب فقط وسيلةً لتستكشف نفسك، ولتمضي بها نحو النجاح.
- قد نضطر إلى تمزيق الأشرعة، وإحراق المراكب؛ إذا ما غابت عنا المرافئ.. أو إذا ما اضطرَّنا البحر إلى أضيق الطرق.. إما إبحار في خضم المجهول، أو موتٌ بعواصف الريبة والحيرة والأوهام.
- النفوس التوّاقة تكره الأداء المتواضع.
- وفي الحياة.. كم مراتٍ نجدُنا مضطرّين إلى أن نصرخ.. إما أن أكون.. أو لا أكون.
- نعم الله علينا لا تحصى.. ولو وقفنا عند نقطة الألم لقضينا عمرنا ننتحب، ولجمعنا علينا ألم الخيبة وألم عدم القدرة على تجاوزها.
- من سيعذر الشمس إن قررت أن تستسلم لسدول الليل الرهيب!؟
- أن تبحث أين تجد نفسك أكثر، وأين سيكون عطاؤك أكثر.. أن تنصت لصوت الفطرة داخلك، وللواعظ في قلب كل مؤمن.. نحتاج لسمع مرهف، ولقرب وشفافية مع أنفسنا.. وقبلها لتجريد النية وحسن التوكل..بشق تمرة، وبإماطة غصن عن الطريق؛ خُلّد أناس في الجنة..ربنا الشكور يعطي على القليل الكثير.

- لا تحزن على وردة رسمتها ولوَّنتها.. ولم تستطع أن تستنشق عطرها.. ارسم وردًا، واستنشق شذاه من دروب الحياة.
- اصنع من ألمك أجنحة، وعانق بها رحابة الفضاء.
- ما الجمال إلا ذاك الذي أخبرنا به أنفسنا.
- لكل عقدة حل، ولكل عائق تحديات، ولكل بيت موصد الأبواب؛ شبابيك موارَبة تنتظر من يداهمها، ويقتحم الفضاء الرحب عبرها.. عزيمة، فخطوة، فقفزة عتيدة عالية.. وسهام الليل تقرب البعيد.. وسجدة قلب بين يدي الكريم؛ تجعل لكل الأسوار سلاليم لارتقاء المستحيل.. وتفويض الأمر للوكيل - سبحانه - يهدهد الروح المضطربة، ويغرق في الأحلام المخملية من يعشق الأحلام.
- التمرد على القيد بداية حياة.. سمَّيتها الالتقاء مع الذات بعد طول غياب.
- بئس الهم الذي لا يصنعك، ولا يجعلك تغترف من طاقات النور الكامنة في أعماقك، ومن بحار جودِ مولًى كريم جواد.
- وأخيرًا.. فهمت أن الحياة لا تنتظر أن نعيش تفاصيلها، ولكنها تُقتحم.. وعلمت أن الألم هو ذاك الذي ما جُعل لأن نتعثر به، ولا لأن يتعثر بنا.. ولا لأن نحاصر أنفسنا بسببه بين أسوار المستحيل؛ إنما جعل ليصنعنا، ولتشكلنا دروبُه، وتحملنا من عتمة الماضي إلى إشراقة الفجر النديّ.

- وما ذنبي سوى أني أنثى رضعت الأنفة والإباء، وحلّقت أمانيها في سماء الأحلام!.
- كلما قرأت أبياتَ أبي ذؤيب الهذلي المشهورة: أسير خلف ركاب النجب ذا عرج مؤملًا كشف ما لاقيت من عوج فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لرب الورى في ذاك من فرج وإن بقيت بظهر الأرض منقطعًا فما على عرج في ذاك من حرج أحسست بشيء ما داخلي يرفض التحجج بالعرج، بعدما عُرف الطريق، وتيسر الرفيق؛ فقلت لنفسي: هل كان يا نفس منجيك من السؤال؛ استمراؤك السير بعرجك خلف ركاب النجب، وقد علمت كيف تكشفين العرج، وكيف تقومين العوج وكيف تلحقين بالركب، وإن سبقوا؟ وا خشيتاه.. كم عليك في ذلك من حرج.
- من منَّا اختار - يومًا - أن يتلحف بالأحزان، وأن يتنسم الآهاتِ، ويعانق الوجع؟

من منّا اختار - حبًّا وطواعية - أن يكون الصمت رفيقَ دربه، والوحدة كاتمةَ سرّه؟

من منَّا اختار - يومًا - أن تصير حروفه قواميسَ لانتظارِ الذي لا يأتي؟

من منّا اختار - يومًا - أن يزرع الأشواق، ويحصد الأشواك؟

نحن لا نختار حياتنا ولا نهايتنا، ولا نتحكم في مجريات الأحداث..

لكن نملك قدرة الرفض والشجب والتغيير..

وما دام في المرء رمق؛ فلا يقعدن عن طلب السعادة.

- إذا استفرغت- عبثًا- جهدك في تنظيف طريقك، واستُنزفت- هباءً - في إعادة تعبيده؛ فلم يبقَ لك سوى اختيار واحد: تغيير المسار.

- أن تُستنزف من أجل ترميم ما يجب ترميمه، وتبذل قصارى جهدك في إعادة تعبيد الطريق.. أن تطرق كل الأبواب الممكنة وغير الممكنة.. أن تُنازل المستحيل كي تُرجع القطار المترنح إلى السكة، ثم تكتشف - في الأخير - بأن محاولاتك كلها قد باءت بالفشل، وبأن الوضع على ما هو عليه، وبأنك كنت تصبَّ الماء في الرمال، وتنفخ في قربة مخرومة.. حينها فقط؛ لن تندم - أبدًا - على تحويل المسار، ولا على تغيير الرصيف والقطار. فقط.. تأكد بأنك - فعلًا - قد استفرغت الجهد.. وبأنه لم يعد لديك ما يمكن التضحية به كي تبقى مرتاحًا مطمئنًا.

- ربّ شوك خير من ورد..

إذا رماك بحرُ الحياة إلى مفترق الطرق؛ لا تقف مكتوف الأيدي، توكل على الله واختر طريقًا.. لكن تحمّل تبعاتِ اختيارك وقرارك، فبعض الطريق ورد، وبعضها شوك وصبار. ولا تبتئس؛ فربّ شوك قوي به عودك وصنع

شخصك، وربّ صبار قَنْسَرَك، وجعلك تنضج قبل الأوان.

- أكبر جريمةٍ في حق أرواحنا أن نحاصرها في أسوار المستحيل.
- لا خير في حزن لا يصنعنا، لا يمضي بنا قُدمًا.. يتركنا رهائن المستحيل.
- الباب الموصد عمدًا في وجوهنا؛ نعمة لمن عرف قدر النعمة.. يعلمنا أن نرحل عنه، وأن نطرق الباب الذي لا يوصد في وجهٍ حتى الكافر: باب الكريم الرحيم المنان.
- وستبقى الشمس هي الشمس في أعماقنا، لا في نفسها هي.. فلتحجبها أيها الغيم إن أردت.. لن نحذف من قاموسنا كلمة ضياء فقط؛ لأننا صادفنا السحاب.
- أن تُفسَح لك أبواب الحياة، وتضيق معانيها في صدرك.. أن ترى الحبل فتخشاه.. تظنه ذات الثعبان الذي لدغك ذات غفلة.. أن ترى الماء وتسمع خريره، وتتنسم عبق الأزاهير المنتشرة حوله.. تفرك عينيك الوسْنَى؛ فلا ترى ما حولك غير سراب أو هكذا تريد أن تراه.. أن تغلق أذنيك عن سماع همسهم.. وعينيك عن رؤية طيفهم، وتنزع نظارتيك كي لا ترى.. أن تتكوّم حولك كقُنْدُسٍ، يتهيأ لسباته الشتوي داخل جحره وتكمل الرحلة غالقًا كلَّ المعابر، وكلّ المنافذ، وكلّ ما يذكرك ببهجة الحياة.. غادرة تلك الحياة.. حقًّا غادرة.. لكن غدرك بنفسك؛ لا

يقل عن غدرها.. حينما تمنع عنها الماء والهواء، وتحرمها متعة الركض بعد السقوط، والبناء بعد الانهيار.. حينما تلقّنها أن خط الزمان يقف ها هنا حيث تلك الحفرة التي أسقطتك، وما أسقطتك هي، ولكنك بيديك حفرت خندقَها.. حينما تستمرئ النكوص، وتستلذ بالضعف، ويريحك حمل الراية البيضاء.. غادر أنت بنفسك.. فلا تلم بعد هذا الحياة.

مشاريعك.. وصناعة القرار

- الطرق التي تؤدي إلى أحلامك الكبيرة، ازرعها ورودًا.. واسقِها من طلِّ قلبك، وندى عيونك، ومن صيِّب روحك الشفيفة.
- نحتاج أن نعلم ما نريده حقًّا على وجه التحديد والدقة، وأن نتفانى للحصول وللمحافظة عليه. بعض الجولات في الحياة تستحق منّا أن نبذل مهرَها من راحتنا وصفائنا، بل واستقرارنا.. لا لشيء، إلا لأنها فعلًا تستحق.
- الريح التي تتهيب الجدران، لا تعثر على النوافذ.
- موقف جديد.. ألم جديد.. فرح جديد.. فرصة للتأمل ولاستكشاف الذات.. ولتأسيس فلسفتك في الحياة.
- الأبواب المواربة قرار خديج.. وأكثر القرارات إيلامًا، أنصافها.
- الورقة التي تخشى الألوان.. لا يمكن أن تصبح لوحة رسم.
- أيها الواجم الحائر المتخبط في دهشتك، ابحث عن دورك الحقيقي في مركبة الحياة.. حيث أقامك الله؛ قمْ، واستقطع من

روحك كي تبدع فيما استرعاكه الله.. هي حياة واحدة وعمر واحد؛ فلا تبذرهما في الحيرة والدهشة والعبث.

- ما نفعك ريش ولا تحليق، وسماؤك تصب على جناحيك اللعنات.. وتنفش ريشك تهبه نثارًا للرياح.
- كن الشمس.. لا تكن قنديلًا احتياطيًّا لغياب الأنوار.. كن الشمس، أو أقفل معابر النور باعتيادية العتمة.
- مشروعك، رسالتك، حلمك الذي قررت أن تغرس فيه ما تبقى لك من عمر، لن يستحق مسمَّى حلم إن لم يكن ليقتات من روحك ووقتك، ويتنفس من تفكيرك.. وتنعم بصحبته حتى في المنام.
- شمسك التي فنِيتَ؛ كي تجعل نورها يستوطن بين أحداقك؛ لا تجعلها تغيب بغمضة جفنٍ تواري عنك ذات النور.
- ترتيب الأحلام يستدعي - أحيانًا - تأخير بعضها، وأحيانًا يستدعي التخلي بالكلية عنها؛ لأننا موقنون أنها لا تفعل سوى تعطيل خطْونا، وكبْح مشاريعنا الكبرى.. تستمر الحياة في كل الأحوال، وتتجدد المشاريع، ونستعِيضُ عن الأحلام بغيرها، ولا نقف مزروعين عند نقطة إخفاق، أو خيبة أمل.
- وسّع دائرة أحلامك ومشاريعك، ونوِّعْها واستكثر.. إن لم تستطع تحقيق الكثير؛ فتبلَّغ بالقليل منها.. الحياة تحب

المشمرين.. أولئك الذين ينفخون الروح في الأمنيات؛ كلما شارفت على الاحتضار.

- الصبح الذي لا يعلّمك الجرأة على المحاولة؛ تبرأ منه.
- أغلب من علقوا في المعابر، كانوا ينقبون الحيطان، ولم يفطنوا لوجود منفذ إغاثة غير بعيد عنهم.
- ليس الإقدام ما يتعبني، ولا التخطيط، ولا القدرة على الوصول.. لكن الذي يرعبني؛ أن أكون مضطرَّة إلى نقض كل النسج أنكاثًا بعد أن أحسنت الحبكَ، وأفنيت نفسي في اختيار الألوان.
- ولأنكِ يا صديقتي مهووسة بالمعالي، وسقف توقعاتك سامق؛ فتحلّي بالانتظار، وتحرَّزي أن يلفظك الصبرُ ذاتَ تعبٍ؛ فتقبلي بالمتاح.. فيخرُّ عليك السقف.
- الباب الذي يغلق في وجهك، يعلمك أن تحفر بيديك المنافذ.
- نجاحك ليس رهينًا بما يراه الناس نجاحًا.. فبعض من مَنحوا أنفسهم أحقيَّةَ تقييم من حولهم، قد تحركهم غيرتهم وعدم قدرتهم على اقتفاء نهجك، فيختزلون فشلهم وغيرتهم في حكم مجاني مسموم؛ علَّهم ينجحون - على الأقل في إثنائك عن مسارك أو تشكيكك في نفسك وفي قدراتك.. نجاحك أن تجعل لحياتك معنى، وأن تتبنى رسالةً تحب أن تلقى بها المولى،

وأن تبصم برُقِيّك في حياة من حولك.. وإخفاقك الحقيقي أن تبقى رهينَ أحكامهم، أو أسير فشلك في تغيير حياتك وعجزك عن تغيير مساراتك وتوجهاتك؛ كلما اقتضى الحالُ فعلَ ذلك.

- في تجارب الحياة، لا أحب الحديث عن الضرائب المدفوعة عن كل إخفاق، بل لا أسميه فشلًا إلا بقدر ما يسلبنا من قدرة على المقاومة وعلى تحدي مطبات الحياة، أختار عنها عبارة "مهر" ندفعه لتتوج هامتنا الحكمة، ولكي تنقدح في حياتنا فلسفتنا في الحياة.
- أصعب القرارات، تلك التي ينكثها فجرُ ليل طويل ابتلع النوم من عينيك تدون ذات القرار.. حتى إذا نكثته، واغتسلت منه بأكاليل الندى المحدقة بالصباح؛ اضطُرِرت لأن تعيد النسج، ولأن تلملم شظايا الحلم المكسور، تصنع منه بروازًا تحنط فيه ذاك القرار.
- أمنياتنا الترابية.. لا نأمن أن تذروها الرياح.. فلنجعلها كوثرية فردوسية نورانية.. فالرياح لا تغالب النور.
- وتلك الرغبة المحمومة في تلوين ما تبقى لنا من حياة بألوان القوس، ومغادرة القتامة التي كبَّلتنا، وتدارك ما فقدناه في رحلة الموت البطيء، تشتعل أحيانًا وتخبو أخرى، لكننا لا نعلم متى تكسر الجوانح، وتفر هاربةً من سجن التسويف

والتأخير؛ فتفرض علينا – بذلك – الحسمَ في أخذ القرار. نحسن دهرًا مراودتها وخداعها، وتصبيرها إلى حين، لكنها إذا ما فطنت بلُعبتنا لم تُمْهلنا.. تحطم الحواجز، وتكسر السلاسل، وتسرق من مُقَلِنا النوم، ومن تفكيرنا ترتيبَ الأفكار.. فلنسعَ لتنفيذ قرارنا اختيارًا قبل أن يتلبس الاختيار بالاضطرار.

- يكفيك أن تستيقظ على بوادر تحقيق بعضٍ من مشاريعك، التي كنت دومًا تحلم أن تجعلها رسالة لك، تحب أن تلقى الله بها؛ كي تتدفقَ في شريانك الحياة.. فاللهم لك الحمد على ما يسرت، ولك الحمد على ما فتحت، ولك المنة والثناء الحسن على ما منحتَ وأعطيت.
- لا تنتظر أن تدق الفرص أبوابَك وأنت كلما صادفتك أغمضت عينيك عنها وتجاوزتها إلى غيرها.. لن تأتي، لا لأنها لم تأتِ؛ ولكن لأنك لا تريد أن تراها.
- تريد قياسًا لإنسانيتك؟ انظر ماذا قدمت لمن حولك، وأثرك على من ولّاك الله شأنهم.. بل انظر ما قدمت لنفسك بحق؛ كي تسبح في إنسانيتك.. كي تتحرر من قيود بشريتك، وتحلّق في سماوات النور والجمال.. قف.. تمهل.. أعدْ حساباتِك.. قد ضاع من عمرك الكثير.. فاستغلّ وقتك في الاستصلاح،

بدلًا من الانشغال بجرد الخسائر الماضية. هي حياة واحدة وعمر واحد، لربما قد ضاع منه ما كنت تطمح أن تعمِّر به دنياك.. فلتسأل الله أن يستعملك فيما تحرر به إنسانيتك، وتُعمّر أخراك.

- من الخطأ أن نقبل بالمتاح.. فقط لعدم تصورنا لوجود بديل.
- رسالتك إن لم تقتت من روحك؛ فلا تستحق مُسمّاها.
- قرر من أنت.. كي تسهل على من حولك أن يعاملوك.
- إذا ما تحررت يومًا، فتأكد أن كل شيء فيك قد اعتنق الحرية.. حتى ماضيك العالق في جدران الذاكرة.
- نحن لا نختار أقدارنا تلك التي لا يد لنا فيها، ولا يمكن بحال أن تكون.. لكن لا عذرَ لنا فيما يمكن تغييره وتحسينه، وفيما يمكننا الاستماتة والكفاح لأجل تحقيقه.. نسأل الكريم - سبحانه - جودَه وكرمَه، وعونه وسداده.
- تريد أن تشغل نفسك عنك، وعما أنت فيه، وتستنقذها من براثن الهم والكرب، والوجع العتيق. انهمك في كل شيء جميل رقيق، عساك تستخرج الجمال الذي فيك.. فالألم يشكلنا في أبشع الصور، ويسرق منّا عبق الأنفاس وأكاليل الندى التي تطوّق الأرواح.. وخير ما تنشغل به القرآن.. سترى - حينها - نفسك تحلّق بالقرب منك.. ترتب بركتُه شعثَ ما تشابك

فيك.. وتسقي بتلاتِ روحك الغافية تشذّب منها الجذور.. وتعيد لصدرك ترنيمة الحياة.

- بعض ما تلقيه الحياة في طريقك، تعامل معه بمنطق التجار، منطق الربح والخسارة.. واترك - على الدوام - خطةً بديلة احتياطية؛ كي لا يضيع كل رأس مالك في صفقة، لا نفطن عادة إلى أنها خاسرة إلا بعد أن نبرمها.
- بعض قراراتنا الصعبة لا تحتاج منّا لاتخاذها سوى الابتعاد قليلًا عن معمعة الأحداث؛ كي نمعن النظر من خارج السياق، فإذا ما كنت تستثقله بالأمس؛ صار يسيرًا.. وإذا بالبدائل التي كنت تعمي عنها عينيك، وتستبعد أن تستطيع التعايش معها، إذا بها ما يصلح لك، ويصلح الكون حولك.. وسجدة قلبك بين يدي العليم الخبير القدير تستخيره في أمرك، وتسأله الولاية والكلأ؛ كفيلة بأن تهندم حياتك، وأن ترتب فيك ما شعثَ بتشابك وتسارع الأحداث حولك.
- ونحتمي بالأحلام من ضجَّة أرواحنا.. ونحتمي بالهروب من ضجَّة الأحلام.
- أكبر خطة لمواجهة واقعنا، أن نضع أنفسنا حيث يجب أن تكون، فلا نعطيها أكثر من قدرها، ولا نبخسها حد ازدرائها.

- هل نحن مضطرون على الدوام أن نعيد ترتيب أوراقنا؛ كي نستطيع إكمال الرحلة؟ لم لا نجرّب بعثرتها، والعيش في الفوضى؟ قليلُ نزقٍ من حين لحين لا يضر.
- من لم يقتنع بأن الزمن كفيل بأن يكون الحكم؛ فليمض في حياته، وليترك نجاحاته تقنع من رامُوا نسْفَه أن القدير الحكيم إن أراد صنعك، وبث الروح فيك من جديد؛ فلا شيء يمنع جوده وعطاءه، وبأنه يكفي أن تحمل فانوسك في يدك تضيء به لمن حولك؛ كي يغرقك المولى في الأنوار.
- أحيانًا كثيرة، لا نحتاج إلى مؤتمرات، ولا إلى موائد مستديرة كي نتخذ قراراتنا، مواقف بسيطة تجعلنا نقلع عن ترنحنا، وعن اختلاق التبريرات، فنقتنع أن القرار الواقعي المناسب؛ ما فرضته بساطة المواقف.
- يكفيك أن تستيقظ على بوادر تحقيق بعضٍ من مشاريعك التي كنت دومًا تحلم أن تجعلها رسالة لك، تحب أن تلقى الله بها؛ كي تتدفق في شريانك الحياة.
- بعض الجولات في الحياة نصِرُّ على أن نربحها، ربما ليس لقوة وبسالة فينا؛ ولكن لأنها – فعلًا – تستحق.
- نتساءل – مرارًا – عن السعادة، ونطيل الوقوف على أطلالها، نسقيها المدامع.. نشكو – مرارًا – من أنها قد أخطأت

طريقنا، وننسى أننا في الغالب من نخطئ طريقها حينما نعجز عن التربص بها.. وحينما لا نقرر أن نكون سعداء..

السعادة قرار..

السعادة تخطيط.

- أضواؤك التي كانت بالأمس القريب تلهب عيون المارة، تسرق منها الدهشة؛ إذا ما يومًا بهتت، فحطم كل الفوانيس وكل الشموع، وابحث عن ومضٍ داخلك، واقدحه، فمنُه يومًا كانت ذات الأضواء.
- فكرة سلبية واحدة كفيلة بأن تزجَّ بك في سجن نفسك.. أو أن تقسمك شطرين: شطر يسجنك وتظن أنك له السجان، وشطر يتفنن في نسفك.
- مرات كثيرة لا نحتاج إلا إلى الانفصال عنا، وعن الأحداث حولنا مدة؛ كي نستطيع تقييم أنفسنا، وأوضاعنا بكل شفافية وموضوعية، وتعديل رؤانا. ومن ثم، تصحيح مساراتنا.. ليس عيبًا أن نخطئ في تقدير المآلات، ولا نهاية العالم ألا نحسن في فترة معينة التصرف أو القرار؛ لكن يكفينا صدقُ اللجوء إلى المولى المطّلع على الخبايا وعلى النوايا، أن يقيل العثرة، وأن يقبل الأوبة، وأن يعيننا على شد الرحال إلى مرضاته.. ويكفينا دعاءٌ صادق أن يهيئ لنا أسباب السعادة؛ فيقفز الفؤاد طربًا ودهشة

من سرعة الإجابة، ومن تيسير الأمور وتدبير الأقدار.. قد تطول المدة وقد تقصر، حسب قوة الإرادة والجلد في طلب التغيير والترقي، وتحقيق الطموح ونشدان السعادة، لكن المهم أن ننتفض.. مادام في العروق دمٌ، وفي النفس رمقٌ، وفي الروح همةٌ وعدمُ استكانة، وقبول بالمتاح، فلا نقعدن عن طلب السعادة، وعن طرق أبواب المولى، وترقب دخول الفرح والفرج يقينًا، ربما من نوافذ لم نتوقع أن تتسرب منها أشعة النور.

- تعاهدوا أحلامكم، ونظِّفوها من حين لحين؛ فإنها تأسَنْ من طول المكث.

- يا لهذا الإصرار، كيف يسمح للخوف أن يصير رفيقه!! أليس من المحزن والمؤسف معًا أن ترى رجفةَ خوفٍ في عيني مقاتلٍ أبيّ؟

- أولئك الراكضون في دروب الحياة، المعتادون على أن يُحنوا رؤوسهم دون تطلع لنجم السماء.. المحبون للفوضى، بل إنهم ليمضون حياتهم غير ملتفتين لتبعثر الأشياء حولهم، أو لأنهم.. وأنها في حاجة للترتيب.. وحدهم من يعيشون في هناء.. أما أولئك الذين يحبون أن يَحْلبوا النجم، وأن يتعطروا من مسك الأمنيات ورحيق الأحلام، وأن يهزموا الفوضى، ويعانقوا النظام؛ فأنَّى لأرواحهم أن تستكين!؟

- بعض القرارات، تمضي دهرًا تخطط لها وأنت بين مدٍّ وجزر.. ما ينسجه الليل ينقضه النهار، وأنت في ورطة حقيقية من نكثِ الليل حبْكَ النهار الجديد.. تقدم رِجلًا وتؤخّر أخرى، في أعراض شبيهة بالجنون أو بالشيزوفرينيا.. وفي لحظة حوار شفيف، تنفتح عيناك على مؤشر، وعلى سببٍ وجيه كي تختار هذه المرة.. فطرتك ومبادئك قد تحكمت، والقلب المكلوم قد ساعدها، وأسباب خوفك القديمة في لحظة صارت عزمًا.. وإنك لتحس براحةٍ وسكينة واطمئنان تترجمها نومة عميقة.. لطفٌ وفضلٌ من اللطيف الرحيم سبحانه.
- احرص على ما ينفعك.. نظّف باحةَ أحلامك، وانفضْ عنها الأوهام وما لا يمكن بحالٍ أن يغالب المستحيل.. انظر للمتاح حولك، واختَر طريقًا آمنًا تحقق فيه ولو قليلَ أمنيات.. لابد أن تجهض ما تعلقت به نفسك، وأنت موقن بأن شيمته التحليق، وبأنك لا نصيبَ لك في أن يحطَّ يومًا بالقرب منك.. أَجْهِضه، وإن أُجهضت معه الأنفاس، الحياة كفيلة بأن تبعث فيك أنفاسًا جديدة.. فقط، لا تغلق عليك بابًا تعلم أنه لن يفتح.
- أهونُ ألف مرةٍ أن أبقى هدفًا مأمولًا، على أن أكون خيارًا مفتوحًا، وأقبل بذلك فقط؛ لأن ذلك هو المتاح.

- زِنْها بميزان الحلال والحرام، وما يغضب الله وما يرضيه، وما فقدته وما ستكسبه، وما ستضيعه في جنب الله، وما ستبقى حريصًا على أدائه؛ سترتد الأوجاعُ على قلبك - بإذن ربك - بردًا وسلامًا.. شغِّب على الإحساس بعقلك، وبشرع ربك.. فذلك البلسم للجراح.
- قد نخرم السفينة ونعيبها.. من أجل هدف أسمى، وأهم..
- الحياة سلسلة اختيارات لا تنتهي.. فلنخْتَر الأسمى والأهم.
- وكلما تكلموا، وكلما تحركوا، وتململوا، وكلما نطقوا، أو صمتوا، أو انتفضوا؛ زدت ثباتًا على مواقفك.. بعض الخيبات - وإن كانت خيبات - إلا أنها تزيدك اطمئنانًا ويقينًا في سلامة قرارك.
- وإني مازلت بنفسي أرُودُها على الاقتحام، وأعرضها للجَلَد في اتخاذ القرارت.. وإني مازلت أجدني أقفُ في برزخ عاجزة حائرة ضعيفة أمام قرار بعينه.. قد سلب النوم من مقلتي، وحرمني الراحة والسكينة، وأوْقَف فيّ شرياني الحياة.. فلا أنا بمتنعمة باستمرار ممارسة العمى.. وما أنا بمفتخرة بقدرتي على تحدي إعاقتي وفوزي بنكوصٍ وتولٍّ أمام زحف الحواجز، ونمو الجدر المتناثرة.. كبقل أو كفطر بري.. وإني مازلت بنفسي أحرِّضها وأهيئها وأجلدها على خنوع.. قد فرضته صَوْلة القرار، حتى

تراءت لي رؤوس بدأت تيْنَع، وإنّ قطافَها لقريب.. صباحكم تحدٍّ لإعاقات تحجزكم عن الانطلاق في القرار.

- أحيانًا.. وأنت في رحلتك نحو النجاح، تجد نفسك أمام خيارين: سرعة الإنجاز والاكتفاء بالمتاح من أجل تحقيق الرغبة، أو الصبر والتؤدة وانتظار اختمار الأفكار، وإعادة ترتيب الأوراق؛ من أجل بلوغ الهدف الأسمى.. وبين تحقيق الرغبة وبلوغ الهدف كما بين سدِّ الرَّمق والتلذذ باللقمة.
- رغباتنا الملحة بقدر ما هي محركُ دفعٍ للإنجاز، بقدر ما يمكن أن تصبح عائقًا لنا دون التفوق.
- وحتى أولئك الذين جُعلوا حجرَ عثَرَة في حياتنا كي ننجح، يكفينا أننا وضعنا - بفضل الله - أرجلنا بسببهم على السكة التي نطمع من الله أن تكون صحيحة، فلنضع راية التحدي المرفوعة عليهم ولنرفعها على أنفسنا.. نستحق أن نتقدم ونتحسن وننجح لأجلنا.. ولأجلنا فقط.
- نظرة الناس إليك وكلامهم عنك، قد لا تعدو أن تكون نظرة وكلامًا، فانظر إلى حديثك لنفسك عن نفسك، فذلك ما يصنعك أو يهدمك.
- تمضي دهرًا تدَشِّن فلسفتك في الحياة.. تؤسس وتنمِّق، وتحاول أن تبدع، وأن تأتي بما لم يأتِ به من قبلك.. تظن

نفسك قد أتقنت.. ثم في لحظة، تجد نفسك مضطرًّا لتعديل نظارتك، ولنسف كلِّ البناء.. ولاعتناق فلسفة جديدة قد تكون منها الحياة.

- وإنك لتؤدي ثمن اختياراتك الخاطئة لحظة عدم تقديرٍ دقيقٍ للأشياء، عمرًا تراه يتسرَّب من بين يديك.. وما أنت بقادر على وقف سيل الأيام المتدفقة في اندفاع.. ولولا الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأهدرت ما تبقى منه كمدًا وحزنًا على أنك أقدمت يومًا، أو على أنك أحجمت.

- كم هو محزن ألا تعلم ما تريده من الحياة.. أن تعيش مجرورًا بالليالي تسلمك للأيام، لا رسالة لك تؤديها، ولا طموح يحْدو بك كي تكون أفضل، ولا أحلام ولا آمال، ولا وجود لك على الحقيقة في مسرح الحياة.. لا يذكرك بأنك هنا سوى أكل وشرب وعبث.. بل قد لا تذكر - أصلًا - وجودك؛ مادمت لم تعطِ للحياة قيمة دروبها.. والأكثر إحزانًا أن تكون ذا إرادة وطموح وروح راقية تواقة للأمجاد؛ فتعيش عمرك مكبلًا بالاختيارات العنيدة.. تفني زهرة شبابك بين الأسوار، وتمضي ما تبقى لك من أيام تتأرجح بين القرارات.. تفتح عينيك كل مرة على تلك الاختيارات المتلبسة بالاضطرار.. ترسم أحلامك، وتخطط لتحقيق آمالك.. حتى إذا ما رأيت

برعُمَهَا والطَّلعَ على وشك الإزهار؛ ردمته لا لأنك تريد ردمه، ولكن لأنك لا تمتلك – وحدك – حرية القرار.

- تنتظر حلمك دهرا فإذا ما أتاك أتى مبتور الجناح.. فإما أن تحمله على جناحيك وتطير به، وإما أن يقعدك بالقرب منه.
- أحلامك.. تعيش دهرًا تمني نفسك بها.. حتى إذا ما اقتنعت ألا وجود لها وبأنها مجرد أوهام، ورضيت بالواقع بكل ضراوته، ودأبْتَ على ذلك يائسًا منها؛ لمع – فجأة – على حين غفلةٍ منك وميضُهَا، كما المنارة للمركب التائه في خضم بحر هائج.. تمضي في بريقها تمني نفسك بالعبور وبالوصول وبالأمن هناك خلف هول الأمواج.. فجأة، تتوه المنارة.. وومضُها الذي كان يهدي سبيلك في لحظة؛ قد اختفى.. تنظر خلفك إلى اليم الغارق في الظلام، وأمامك إلى بعد الشقة واختفاء معالم الوصول.. مركبك يترنح.. والعاصفة الهوجاء تبدد كل أمانيك في الراحة والأمان.. تظل عالقًا بين عودة وبين إقدام.. ماثلًا بين براثن الشك والحيرة.. مصلوبًا على مشانق الاختيار.. أترجع؟ وقد توسط مركبك هذا اليم، والوصول قبيل اختفاء الوميض كان وشيكًا! أتمضي؟ ومعالم الوصول قد اختفت وبريق منارتك يعاندك!

لك الله أيها التائه الشارد العالق في شباك قرار..

اللهم اختَرْ لنا؛ فإنّنا لا نحسن الاختيار، ورضِّنَا بقضائك.

- إذا اضطروك للتخلي عن طموحاتك ومشاريعك لأجلهم، فليخشوا أن تتخلى عنهم ذات ثورة، وبحث عن الذات؛ من أجل طموحاتك ومشاريعك التي كانوا سببًا في تعطيلها.
- التبريرات المتواصلة لأخطائنا حيلةٌ دفاعية نحمي بها أنفسنا – مؤقتًا – من الألم والأسى وخيبة الأمل.. ولو تعاملنا مع إخفاقاتنا بمزيد حكمة؛ لما وقفنا عند نقطة الألم، ولجعلنا من فشلنا فرصة للنجاح.. لا عيب أن نخطئ، ولا إشكال أن نؤنب أنفسنا دون جلد عنيف، فالاعتراف بالخطأ دافعٌ حثيثٌ لإصلاحه، ومناسبةٌ لتفاديه فيما يُسْتقبَل من الأيام، فلا نجعل الاعتراف مبلغَ طموحنا لنقنع انفسنا أننا شفافون صادقون مع أنفسنا، ولا نعلق أخطاءنا المتكررة على شماعات التبرير.
- حالنا مع بعض المشاريع والأحلام حالُ أمِّ الأيتام، وقِدرها المشهور، قد ملأته حجرًا؛ تُصبِّر أبناءها على عضة الجوع، حتى إذا ما طال انتظارهم؛ ناموا.. نراوغها، ونهاودها، ونستكثر؛ فتتعلم منّا المجاراة، وتتقن أن تهادننا.. لكنَّ نَخْسَتها ما تنفك ترُجّنا كي نستفيق.. حتى إذا ما اسْتفقنا؛ ما كان لنا من بدٍّ سوى أن نعيد الكرّة، وأن نملأ قدورنا بأحجار الأماني.

- نحتاج إلى إبرام صلح مع ذواتنا، وإلى تعديل شفافيتنا المفرطة، ومثاليتنا العالية لأجل أن ننعم بقليل راحة وقليل فرح.. نحتاج إلى عدم رفع سقف تطلعاتنا.. نحتاج أحيانًا - وإن كان ذلك يخالف مبادئنا - أن نقنع بالمتاح.
- أول خطوة للسعادة؛ التخطيط لها.. وأول خطوة للتخطيط؛ معرفة ما نريد.. كثير من الناس لا يعلمون ما يريدون، فيصعب عليهم التخطيط لحياتهم، ويمضون عمرهم في القيام بالأشياء التي ليس من ورائها طائل، أو تلك التي لا تستهويهم.. يمضي بهم القطار، وينهب المسيرُ عمرَهم؛ ليستيقظوا يومًا.. وقد عاثَ المشيبُ في رؤوسهم وقلوبهم، وهم في القطار غير المناسب، وفي الاتجاه المعاكس لما يحبون.. يموتون في وقت مبكر جدًّا، ولا تدفن أجسادهم إلا عند خروج الروح. * حدد - بعد الاستعانة بالله - ما تريد من الحياة، وأين ستجد سعادتك أكثر، وكُن شفافًا مع نفسك؛ لتحدد قدراتك وميولاتك، ولا تقتلها بما دأب عليه الأهل والعشيرة، وما يفرضه المجتمع.. كن أنت لا ما يريدون منك أن تكون.
- قد تُعذر إن لم تكن من ذوي الهمم العالية لمعانقة الذرى والتحليق نحو السحاب وسبر أغوار المستحيل، لكن لا عذر

لك في الممكن والمتاح والمستطاع.. فليكن إبداعك فيما تتقنه، وإنجازك فيما تجيده، ويسهل عليك فعله.

- ليس تشاؤمًا ولا يأسًا، ولا قلة رجاء وأمل أن تقيّم مشاريعك وأحلامك، فتضع رجليك على الأرض، وترى ما يمكن تحقيقه عاجلًا، ولا يمكنه الانتظار، وما يمكن تأجيله - لا بترُه من قائمة الأحلام - وما يجب العمل عليه في صمت، ونثر بذوره، وانتظار خروج الشطْء. بعض المشاريع وقتها الآن.. الآن فقط، وليس غدًا.. وبعضها سذاجة ورعونة وسفَهٌ أن تحاول تحقيقها.. ولمّا يحِنْ وقتُها.
- كم نحتاج إلى وقفة من حين لحين، نعيد فيها ترتيب أوراقنا، وتصحيح مسارنا، ووضع النقط والفواصل قبل الاضطرار للرجوع إلى السطر.. وكم نحتاج فيها - أحيانًا - إلى تمزيق الصفحة والاستئناف، أو إلى تمزيق كل الكراسة، ونقش الحروف على باحة الأوجاع.
- تنفش الأحلام كما تنفش وريقات زهرة.. تنثرها تترى.. تنفض عنك المستحيل والوهم، وما بنيت لأجله قصورًا فوق السحاب.. تشمّر عن ساعديك، وتستعد للمغامرة، فما تبقى لك غير الواقع بضراوته.

- وكلما وشوشت لك الوساوس، وأرَّقتك الهواجس مُوحيَةً لك أنك قد أسأت الاختيار، وبأن اختيارك منذ البداية لم يكن موفقًا.. فعَلَام كان الاستمرار؟؛ فذكرها بأنك قد استخَرْت، وبأن الذي اختار لك حكيمٌ عليم.. سبحانه، وبأن ذلك الذي أصابك ما كان ليخطئك أبدًا، وأن في طيات الألم عبرًا ودروسًا وحنكة، ما كنت لتكتسبها لولا مدرسة المشاكل والوجع.
- ولو أن ما للاستخارة من فائدة - بعد حسن التوكل على الله - سوى الراحةِ والطمأنينةِ ومتابعةِ لطف الله، الذي يصاحبنا في كل خطواتنا؛ لكان حريًّا بنا ألا نستغني عنها في كل قراراتنا.
- بعض مشاريعنا بقدر ما هي تحقيق لذواتنا ولطموحاتنا، بقدر ما هي رمالٌ ندفن فيها رؤوسنا كما النعامة، نغرق فيها أنفسنا كي لا نواجهها بحقيقة الحياة.
- الآن.. وليس غدًا.. كلُّ تأخير يُحسب ضدك.. فاحذر التسويف والمماطلة.
- وكم من المشاريع الموقوفة التي ما زلنا نتحَيَّن الفرص من أجل تحقيقها، ثم ما نلبث أن نتُوه في زحام الحياة، وننسى أنها تقتحم ويخرج وقتها من الضيق.. فهذا العمر المتصَرِّم لن

يقف بمحطتنا، ولن ينتظر ترتيب حقائبنا.. هو يحملنا على ما نحن عليه.. فإلى متى نسَوِّف ونُرجئ؟

- عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ:"مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء. فأطاعه طائفة من قومه؛ فأدْلَجوا، فانطلقوا على مهلهم فنَجَوا. وكذَّبته طائفة فصبَّحَهم الجيش؛ فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مَثَلُ من أطاعني؛ فاتّبع ما جئت به، ومثَلُ من عصاني وكذب ما جئت به من الحق" (رواه البخاري ومسلم). لن أقف مع المعنى الإجمالي للحديث، والذي يصبُّ في أن نجاة الأمة في طاعة الرسول - ﷺ - وهلاكَها في مخالفته، ولكن ما يستوقفني، هو هذا المثل البليغ واللوحة المكثفة والضربة الفنية الشاحنة، وذلك الانتقال من سرد البداية المؤكدة - على اقتضابها وسرعة سردها، وبما لا يسع معه شكًّا أو ارتيابًا، فالراوي قد رأى بعينه ولم يخبره أحد - على هول الموقف، ووجوب السرعة في اتخاذ القرار، إلى المفاجأة في انقسام القوم بين مصدِّق ومختار للنجاء، وبين مكذِّب مستهتر مغيَّبِ العقل والبصيرة، مختارٍ - بتماطُلِه في اتخاذ القرار الصحيح - هلاكَه، واجتياحَ العدو دارَه. إننا

في مواقف مصيرية شبيهة بما في هذه القصة، نحتاج إلى اتخاذ قرارات حاسمة، ونحتاج قبلها إلى الإسراع في اتخاذها، فكم من قرارات سليمة.. لكنها اتُّخذت متأخرةً؛ فكانت النتيجة بخلاف المتوقع. ولن يتسنى لنا هذا الحسم في المواقف وسرعة البديهة من أجل الاستجابة؛ إلا أن تكون عندنا ثوابتٌ ومرجعيات، تكون وسيلتنا في فك الشفرات.. ولا يمكن أن نجد ذلك في مبعَدٍ عن شريعتنا التي اهتمت بقضايا الحياة والمجتمع في أدق تفاصيلها، وفي نأيٍ عن عقيدتنا المبنية على تفويض الأمر لله، والثقة به، والاعتماد عليه، ودعائه.. أن يختار لنا، وألا يكِلَنا إلى أنفسنا طرفة عين. فاللهم نسألك البصيرة والثبات، وأن تُرينا الحق حقًّا، وأن ترزقنا اتباعه، وأن تُرينا الباطل باطلًا، وأن ترزقنا اجتنابه، وأن تعلق قلبنا بك وبرحمتك وولايتك.

- أحيانًا، نحتاج إلى بعض الأنانية وحب الذات، رغم أنها تخالف مبادئنا؛ دفاعًا عن حياتنا، وعن اختياراتنا.
- وكلما زادت خستهم زدتَ ثباتًا على موقفك، ويقينًا في سلامة قرارك.
- ولست أرى - بعد الإخلاص والجدِّ والفِطنة - من وسيلة لصناعة طالب علمٍ بمرتبةِ عالمٍ؛ سوى الموسوعية، واتساع

الثقافة.. وقبْلَها الصدر للآخر. قلة علم وقلة بصيرة واطلاع وعرج في الاستنباط والتحليل، وضيق الرؤية والصدور، وجعل الطلب غايةً وليس وسيلة، والاهتمام بالكليات على حساب الجزئيات، والسرعة في الإنجاز، وفي إرادة الوصول؛ قد صنعت طلابًا، لكن على شاكلة الكثيرين ممن خُذلنا فيهم.. قد لا يتكرر نموذج ابن تيمية بحذافره، ولن يتكرر لأننا لا نؤمن بفكرة الاستنساخ، لكننا بحق في حاجة لمن يفرغ نفسه لتمرينها على الموسوعية، وعلى التفتح الذي لا يعني بحالٍ التلوَّنَ في الدين.

- أحيانًا، وأنت تقف وقفة تأملية من أجل إعادة ترتيب الأوراق وتصحيح المسار؛ تجد نفسك عاجزًا عن تحديد موقع خطاك، ولا تدري هل حملتك الأحداث خطوتين إلى الوراء من أجل خطوة حثيثة إلى الأمام، أم أنها زرعتك في نقطة البداية!.
- بعض القرارات قد تحتاج منّا طرفة عين كي نتخذها، وأخرى ساعات أو أيامًا.. وبعضها قد تأخذ منّا عمرًا كي نعلم في الأخير.. أننا قد تأخرنا كثيرًا في اتخاذها.. ولولا إيماننا بالقضاء والقدر لعشنا ما تبقى من عمرنا في حسرة وندامة على أننا لم نسارع.. ولولا أننا نؤمن بحكمة الله؛ لما علمنا أن ما بين دراسة القرار واتخاذه - أخيرًا - حياةٌ قد عشناها بمُرّها، وحلوها، ودروسها، وعبرها..

فاللهم يا حكيمُ، ألهمنا الحكمة.. ويا رزاقُ، ارزقنا التؤدة.. ويا عليمُ، علّمنا ما لم نعلم.

- ونحن في رحلتنا لترتيب تلك الفوضى العارمة، التي تكتسح أعماقنا من حين لحين؛ ما أحوجنا إلى أن نتساءل: "وماذا بعد؟" وأن نحاول الإجابة بكل منطقية وشفافية.
- لن يعيش السعادة من لا يفهم أبجدياتها، ولا يعلم كيف يخطط لها.
- وكم يضيع الهدف الأكبر في رحلة البحث عن الذات، وبسبب الذنوب والغفلة والتسويف، وبالاستعاضة عنه بالمشاريع الصغيرة.. إن هو إلا توفيق الله.
- وبعض مشاريعنا انتثرت دقائق وساعات هنا وهناك.. وبعضها فُكِّكت أيامًا وأيامًا.. وتمر الشهور.. وتمر الأعوام.. ونجدنا ما زلنا مغروسين في مرحلة " التخطيط من أجل التخطيط " لمشروعٍ كُنا - يومًا - قد رتَّبنا أنفسنا؛ ليكون ما تفنى في سبيله الروحُ، وما نُزيّن به الصحائف، وما نُعمّر به خَراب القبور؛ فضاع في التسويف وزحام الحياة، ونقمة الذنب.
- استعراض همومنا الدائم، ومُكثنا عند نقطة الألم؛ يؤخّر خطواتنا من أجل تحقيق مشاريعنا، ويعطل التخطيط المتزن لها.. لتكن نقطة الألم بدايةَ الانطلاق؛ فرحابة الحياة لا يُقيّدها همٌّ، ولا يضيّقها فشل.

- وبين "وماذا بعد؟" و "ليس بعد".. أناس تتقلب بين الحيرة والشك، والاندفاع والعجلة، وآخرون يطبخون على نار هادئة، لا يستعجلون الثمار، ولا يغصبون الجنيَ، ويجعلون من لحظات الانتظار؛ فرصةً لترتيب تلك الفوضى العارمة التي تكتسح أعماقهم، ومناسبةً للوقوف أمام المرآة في لحظة تصالح مع الذات، وإعادة صياغة الأحداث، والسعي لتحقيق مرتبة أفضل من مراتب العبودية.
- أليست الجذور مَن تُحدد إن كان علينا أن نعانق قامة السماء، أو أن نبقى فسيلة غائضة في عِضَياتِ قلوبنا المترنحة بين العمق والسطحية، بين المعاني والمواد، بين الموت والحياة!؟
- (تلك أمة قد خلت) ما أجلَّها من قاعدة: مع الأحزان التي نأبى إلا أن نجترّها، وأن ننبش عليها القبور (تلك أمة قد خلت).

مع أناس قد خرجوا من حياتنا، أو نحن من أخرجناهم بمحض إرادتنا (تلك أمة قد خلت). مع ذكريات مؤلمة تطفو فوق السطح من حينٍ لحين (تلك أمة قد خلت). مع ظلم قد أطار النوم عن المقلتين (تلك أمة قد خلت).

- قالت: أهو "استغراق في اللحظة الحاضرة؟" قلت: بل هو استفادة من "اللحظة الماضية" واستغلال "للحظة الحاضرة"؛ من أجل نظرة متَّزنة للتخطيط للمستقبل.
- أصعب القرارات أنصافُها.

- إن لم تستطع حلَّ كلِّ مشكلاتك؛ فأعد ترتيبها على الأقل.
- الصبر، كما البؤس، يعيننا على اتخاذ االقرارات، إذ هو الشاهد الأكبر على صحة ومشروعية قراراتنا.. يصنعنا، ويصيّر هزائمنا نصرًا، وترَنُّحَنَا عزمًا وثقة.
- كم نحتاج أن نكون مرتَّبِين في أدق تفاصيل الحياة..

وحتى في تلك المناسبات التي تطبعها الفوضى.
- كثرة تدقيقنا في الأشياء.. تفقدنا السعادة.
- قد نخرم السفينة ونعيبها.. من أجل هدف أسمى وأهم.. الحياة سلسلة اختيارات لا تنتهي.. فلنختر الأسمى والأهم.
- وأخيرًا.. فهمت أن الحياة لا تنتظر كي نعيش تفاصيلها، ولكنها تُقتحم. وعلمت أن الألم هو ذاك الذي ما جُعل لأن نتعثر به، ولا لأن يتعثر بنا.. ولا لأن نحاصر أنفسنا بسببه بين أسوار المستحيل، إنما جُعل ليصنعنا، ولتُشَكِّلنا دروبُه، وتحملنا من عتمة الماضي إلى إشراقة الفجر الندي.
- إن كنت لا تحسن الرجوع؛ فلا تتوغل.
- هي حياتك وسعادتك، إن لم تدافع عنها أنت؛ فلا تسأل غيرك أن يفعل ذلك لأجلك، فما ناءَ بحمْله جيدُك أنت، أولى بجيد غيرك أن ينُوءَ به.

- لا أثقل على قلبي من أنصاف كل شيء.. أنصاف الطرقات، وأنصاف الحلول، وأنصاف الذوات.. إما أن أكون أو لا أكون.. إما أن أعيش الحياة بتفاصيلها الصغيرة، وإما أن أنكفئ على نفسي فلا أطلب الحياة.. إما أن أعيش السجن الجماعي الصغير، وأقبل به، وإما.. فالسجن الانفرادي نعمةٌ لمن عرف قدر النعمة..

أمّا أن أعيش في البرزخ، معناه أنني أعيش على هامش الحياة، وخارج فصول الرواية.

- كن جشعًا، لا ترضَ بالقليل، وارفض القناعة في الإنجاز.. إن كنت تستطيع الحصول على المرتبة الأولى؛ فلا أحد سيعذرك ويسامحك أن تكون في المرتبة الثانية.

واستثمر وقت حماستك، واشتغل؛ فإنك لا تعلم متى تنطفئ.

- ننصهر مع الأحداث ونغفل عن أنها تعمل فينا بالإيجاب أكثر منه بالسلب.. بصماتها رسائلُ غيب.. كم نحتاج للحكمة والتؤدة من أجل تفكيك شفْرتها.. قد نغرق في ألمٍ، ونظن أنها النهاية؛ فإذا به نهاية عهد الأوجاع، وبداية عهد العطاء والإنجاز.. وقد تداهمنا مشكلةٌ إثرَ مشكلة، فإذا بالمشكل الثاني حلٌّ للأول.. له الحمد من كريمٍ، وله الحمد من لطيفٍ، وله المنة والفضل والثناءُ الحسن؛ على ما يعطي، وعلى ما يمنع.
- حروبهم المتجددة المتكررة علينا تحفّزنا.. تجدد فينا الطاقة، وتمدنا بمزيدِ ذخيرةٍ من أجل عبور جسور التحدي.. ثمة

أناس قد جُعلوا عثرةً في طريقنا، ليس من أجل أن نتعثر، ولكن من أجل أن نتعلم كيف ننجح في إزالة العراقيل، وكيف نقفز في إتقان وثقة وحِنْكةٍ على كل ما يعترض سبلَ نجاحنا.

- تريد قهرهم؟ حقق مشاريعك، وابذل قصارى جهدك من أجل النجاح.. يريدون أن يتفرّجوا على طلَلِك، الذي رامُوا تحطيمه بمعاولهم، ينتظرون بفارغ الصبر أخبار إخفاقك، وعدم قدرتك على المواصلة من غير وجودهم، ويترقبون فرصةَ التشفي على أحرِّ من الجمر.. استعن بالله واخذلهم.. رتّب مشاريعك، واسْعَ واثقًا؛ لأجل تحقيقها.. انْجح، وتفوّق، واستمتع بنشوة الإنجاز.. مزيدُ قربِك من الله مشروعُك الأول.. وهو يذلل لك الصعاب. عطاؤك اللامتناهي لمن حولك تحصد قِطَافه محبةً وتوفيقًا، واتساع صدر، وازديادَ رصيد مشاريعك في الحياة. قم وانفض عنك الغبار، وابتسم لرحابة الحياة، واكتب سطورَ خيبتهم نجاحًا وثقةً بما عند الله.

- المنهجية وتحديد الأهداف، أهم خطوة في نجاح أي مشروع، والإخلاص.. وسؤال الله المددَ ميزانُ النجاح الحقيقي. لنجعل أهدافنا نورانيةً سماويةً، ولنسأل الله التيسيرَ والفتح والبركة.. فلا شيء مثله يستحق الالتفاف حوله من زادٍ يبلّغنا - بإذن ربنا - المآمن.

كسروا أوثانهم

- لا شيء،

غير أننا نحتاج إلى أن نسعد باختياراتنا، دون أن نجد من يترصدها بقلمه الأحمر.. وأن نعيش اللحظة التي نحن فيها كما نريد نحن، لا كما تهوى مخططاتهم وقراراتهم.

- جرعة من كرامة، وعزة نفس، وحسْوةٌ من أنفة وإباء، ونزْرٌ من أحلام وأماني؛ كفيلةٌ بجعلكِ تبدين كنازحة من زُحل، أو كمارقةٍ تستحق الجلد والتعزير. ولا تسأليهم - حينها - عن شرع الله، ولا تحاولي إقناعهم بالتزامك حدوده؛ فكل الشرع - حينها - سيعطّلونه فداءً لنظرتهم العقيمة السقيمة.
- أن تكون حياتك مخالفة لما رامُوا لك أن تكون؛ يحتاج منك أن تدفع مهر اختيارك.
- هلّا سألوا إذ لم يعلموا!؟

بعض الناس يمنح نفسه أحقيَّةَ التدخل في شئون غيره، فينزع إلى قواعد المنهج التجريبي من فرضية وتحليل، واستخلاص النتائج. ومن ثم، إصدار الأحكام.. لكن - بالتأكيد - من غير عنصرَيِ النزاهة والحيادية. وليته اكتفى بذلك، بل إنه يختم على تصوراته

بخاتم اليقين الذي لا يراوده شكٌّ، ولا يأتيه الخطأ لا من بين يديه ولا من خلفه، معتمدًا في ذلك على تخمينات لا يعنيه التحقق من صحتها، واحتمالات لا يأبَهُ بنسبةِ إمكانية وقوعها من عدمها. وحيث أن يقينَه لا حدود له، وأحكامَه لا مثيل لها؛ فإنه لا يجد في نفسه حاجة إلى أن يعرض النتائج على من تولى التدخل في شئونهم؛ ليرى إن كانت تخميناته صحيحةً، ومذاهبه موافقة لواقعهم قبل أن يصدر حكمه. والعجيب، أنه لربما بذل النفس والنفيس من أجل إقناعهم برأيه واستَماتَ في الدفاع عن أحكامه، التي هي - في الأصل - لا تعدو أن تكون تخمينات أو تصورات قد تكون موافقة للواقع، وفي الغالب هي أبعد ما تكون منه.

فإذا قبلنا - جدلًا - أن يقحموا أنفسهم في شئون الخلق؛ فهلَّا - كرمًا - سألوا إذ لم يعلموا.. قبل أن يحكموا؛ فإن شفاء العيِّ السؤال.

- أعترض، ولن أسمح لأحدهم أن يشكك في مسلَّماتي وما أدين الله به.. لن أتركهم يرضخونني لـ "يعوقهم" و"نسرهم"، ولأوثان جاهلية ما أخرجتهم من الديانة لها لحية ولا نقاب ولا طيُّ رُكبٍ في حلق الدروس. الحلال ما أحله ربي، والحرام ما جاء مفصلًا في ديننا؛ كي لا نتوه، وما رضعوه همْ من أفكار مجتمعاتهم السقيمة التي ما استطاع نهلُهم من كتب الفقه أن يفصل لهم في أذهانهم بين موروثات مجتمعية وبين حدود شرع

الله؛ لن يخضعني أمام وشوشاتهم ونظراتهم الشزراء.. لكَهْفي وتشرنُقي أفضلُ لي ألف مرة من أن أجعل التدين مظهرًا، والتسنّنَ حفظًا للمتون، ولأبواب الفقه، دون أن أكلف نفسي كسر القطيعة بين ما يُحفظ وما يُطبق ويُنزل على الواقع.

- بعض ما نحن عليه، استمرار لرؤية الأشياء بنفس النظارات، ومن نفس الزاوية.. أما آن الأوان لنعتقد خلاف ما نعتنقه، وأن نسَطّر لأنفسنا مساراتٍ جديدةً نتحرر فيها من الكائن المعطل داخلنا، ومن سجن الأفكار التي جعلناها دستورنا في الحياة.. والحياة ما احتضرت على شفاهنا إلا بالغرق فيها. لكم نحتاج إلى التمرد والثورة، وتحدي كل تلك الإعاقات التي تقتل فينا الحياة.
- قراراتنا؛ يكفي أن تكون سليمة ومحكومة بشرع الله؛ لتجعلنا أكثر جرأة وأكثر جسارة، وأكثر استعدادًا للدفاع عنها.. طموحاتنا تخصُّنا وحدنا وليس لغيرنا أن يحجر عليها.. امضِ ولا تلتفت.. وتحمل تبعات قراراتك.. ثمة اختيارات لا ترضى إلا بدفعك مهرها.
- متى كان الناس على الناس أوصياء!؟

لفترة طويلة، كنت أظن أن الناس أحرار فيما يذهبون إليه، وكنت جدُّ مقتنعة بالمقولة التي مفادها:"حريتك تنتهي حينما تبدأ حرية الآخرين"

ولسبب ما؛ اعتقدت أن منطقية هذه العبارة، ووضوحها وضوح الشمس في يوم مشرق؛ ستجعل الناس يقتنعون بأن ينشغلوا بأمورهم عن أمور غيرهم، وستحدد لهم حماهم فلا يداسون ولا يدوسون..

لكنني فوجئت - ولأكثر من مرة - أنما ذلك الوضوح واعتبار المنطقية فيها إنما كان في ذهني، وقلة قليلة من تلزم نفسها بمقتضاها؛

فإن أراد أحدٌ الزواجَ فإنه لا يسلم من ثلة أسئلة من قبيل: (كيف؟ وأين؟ ومتى؟) التي - في الغالب - لا يأنف من الإجابة عنها (إلا إذا اختار قضاء حاجته بالكتمان)، ومن أسئلة أخرى أكثر إحراجًا من قبيل: (لـم؟)

ولست أرى من أراد الطلاق بنَاجٍ من تلكم الأسئلة، والأمر نفسه لمن أراد شراء بيت أو اقتناء سيارة، أو بيع قطعة أثاث، حتى صار أحدُنا إن أراد أن يتخذ قرارًا في حياته؛ ملزمًا بوضع تقرير مفصل يجيب فيه عن كل تلكم الأسئلة، ومن باب الاحتياط.. عن أسئلة أخرى حسب الموضوع وملابساته؛ تحسبًا لأي طارئ، وأية مداخلات جديدة لم تكن في الحسبان.

وليت الأمر يقف عند حد الاستفسارات والاستنطاقات، فلربما كنت مضطرًّا - بعد جعلك التقرير المفصل رهن إشارتهم - إلى

مزيد من توضيحات تستعين فيها بكل ما أوتيت من مهارات الحوار وفنون الإقناع، فلعل قرارك لم يحظَ بقبولهم، واختيارك لم ينلْ منهم الرضا. فما عليك سوى الدفاع باستماتة واستنزافِ كلِّ طاقاتك وجهودك؛ لأجل ذلك؛ وإلا فدعهم يختارون لك، وأذعن لقراراتهم - حتى وإن كانت لا تناسبك - كي ينظروا إليك بعين الرضا، ويسمحوا لك أن تكون فردًا نجيبًا مطيعًا، تساير أفكارهم، وتسلك منهاجهم، وتقتفي خطاهم، وتشبع رغبتهم في حب السيطرة والتملك، وتساعدهم على تنفيذ وصايتهم عليك.

وعدا هذا وذاك، فما أنت سوى فردٍ متمرد خارج عن فروض الطاعة.. حقٌّ فيك الجلدُ والتعزيرُ، أو النفي إلى كوكب يليق بك وبأمثالك، ممن كسروا حواجز التبعية، وفرطوا سلاسل الركون، وهدموا أسوار الخنوع وقلاع الاستكانة.

- نحتاج إلى من يتذوق الحياة لا إلى من يعيش، وإلى من يتذوق الكتب لا إلى من يقرأ.. وإلى من يُقدِّر قيمة الأشياء لا إلى من يقتنيها.
- غربة أن تحرك عقلك، وأن تبحث عن نفسك، وأن تحطم أصنامهم.. لا تنتظر تصفيقهم، ولا تبجيلهم؛ ولكن جهّز نفسك لمخالب تنهش وجهك، ولعبارات - إن لم تحترزْ من سُمّها - مزّقت منك الأحشاء.

لذة العطاء

- أجمل الأحلام وأرقى الأمنيات؛ أحلامهم.. تلك التي ليس لك منها سوى مرآبُ ضلوعك.. يستودعونها خلفها آمنين.
- ليتنا نتعلم الانسلاخ من ذواتنا، وتقمصَ شخصيات الآخرين؛ حتى يتسنى لنا الحكم بموضوعية وشمولية.. ليتنا ننجح في إخراج أنفسنا من رحلة التشرنق؛ فالفراشة لم تتمكن من رؤية العالم من فوق إلا حينما خرجت من شرنقتها، وغيّرت نظرتها "اليرقانية". والفرخ لم يكن ليصير طيرًا، وليستكشف الفضاء؛ لولا خروجه من قشرة بيضته، وتغيير نظرته "الصوصية".
- لا تطلقوا الأمنيات وحيدة مستوحشة، ولا تتركوا الدعواتِ تحلق في سماوات الرجاء والضراعة.. دون أن تحمل فوق أجنحتها أمنياتِ إخوانكم وأحبابكم.. ولتنتعش أرواحكم بعطرٍ ملائكي يعبَقُ في الآفاق بدعوة كريمة؛ لكم منها ما دعوتم به لغيركم.
- لن يترَ اللهُ نفقةً في سبيله قد انتُزعت طَوْقا من شعب الضيق.

- مخاطبة الأرواح صنعةٌ لا يتقنها إلا قريبٌ منها، شفيفٌ رقيقٌ أسيفٌ.. فمن اجتمعت فيه وزاد عليها؛ حسْنَ منطقٍ وعذوبةَ بيانٍ؛ فلا مناص ستزهر كلماته في بيداء القلوب وجدب النفوس، وستعبق الأعماق المستقحلة تتضَوَّع بطيب الكلام، وستنبت - بفضل ربها - امتثالًا، أو على الأقل محاولاتٍ متكررةً لصقل حجر القلوب المُتكَلِّسة.
- تنظر حواليك؛ علَّ شيئًا من روحك ينتفض.. علَّ تمردَها المعهود يحجب عنك براثنَ الاستسلام.. لكنها مستكينة لا تتمرد.. ليس لها الحق - الآن - أن تتمرد.. تجد نفسك غارقًا في كل شيء حولك، تائهًا عنك.. مغلوبًا مسحوقًا مطحونًا.. مستسلمًا لعجلة الحياة تدور بك.. لستَ لك.. لا تصلح لشيء عدا أن تعيش فانوسًا تضيء لكل من حولك، وفقط لهم. كل المعابر إليكَ مغلقة كي تبحث عنك.. وكل المرافئ لا تستقبل الزاهدين في الحنين.. ارفع رايتك البيضاء، وطِبْ بعبقٍ كُتبَ عليك أن تنثُره دون أن تستنشقه، وبنور قُدِّر لك أن تنشُرَه.. لا أن تستضيء به.
- تلك الأشياء التي تصرُّ على ألا تتحقق في حياتنا.. وتلك الدروس التي استوعبناهاو وما من سبيل إلى تطبيق ما استوعبناه على أرض واقعنا.. تلك التجارب التي تصرُّ على

مشاركتها مع من حولك.. تمدهم بخلاصتها؛ لكفيلةٌ بأن تجعلك تدشنُ دساتيرَ سعادة خاصة لا تشبهها سعادة.. ما لم يتحقق فيك أنت؛ فاحرص على تحقيقه في من حولك.. لعمري؛ تلك نعمة لا تُقدَّر بثمن.

- وسع دائرة أحلامك، واخرج بها من ضيق استئثارك بها إلى رحابة رؤيتها في غيرك.. فإن ماتت فيك أنت؛ فأحْيِها بتحقيقها فيمن حولك.
- بعض تجاربنا في الحياة تجعلنا ننضج أكثر مما يجب، حتى إننا لنحس بالمسؤولية عن كل من حولنا.. وبأبُوَّتهم أو أمومتهم.. نتمنى لهم السعادة، ونوَدّ أن ينجحوا بكل ثمن، وبأن يصلوا لما لم يُكتب لنا نحن أن نصله، وألا يلحقهم من الأذى ما لحقنا.
- ما أجمل أن يكون التأثير الإيجابي متبادَلًا بين الناس، حتى إنه لا يُعلم من المؤثر.. ومن المتأثر: "طيبة قلبك؛ جعلتني طيبًا" فيجيبه: "بل أنا من جعلتني طيبةُ قلبك طيبًا"
- وما سعادتنا إلا سعادتهم.. نحتاج أن نرى إشراقة محياهم، وبسمة قلوبهم، وتحليق أرواحهم؛ كي نكون بحق سعداء.
- أحيانًا كثيرة، تكون حاجتنا إلى فضفضتهم أكثر من حاجتهم هم لأن يفضفضوا.. نحتاج إلى أن نحمل عنهم أكثرَ من حاجتهم إلى أن يشركونا ما ناءَ به حِمْلهم.

- ما أجمل الاعتذار! وما أجمل سماحة النفوس حينما تحس بخطئك تجاه أحبتك؛ فتبادر إليهم ليحلِلُوك مما قدْ بدَرَ منك من غير قصد، وليعذروك إن كنت قد أسأت لهم من حيث لا تدري، فتجدهم يبادرون لنفس الاعتذار.. كلمة بسيطة على من وفقه الله إليها: "اعذرني" أو "آسف"، فترجع المياه لسواقيها، والوداد لسالف عهده.
- لكم نسعد ونحن نسعى لنُدخل الفرحة على قلب حزين؛ فنبذل كلَّ الجهد؛ كي يرقأ الجفنَ السحاحُ، وتنبعث البسمة في قفار الملامح الواجمة.. فنتخير من الألفاظ أجملَها وأبلَغها؛ كي يكون بحقٍّ إسعادٌ راقٍ جميل. ونسعد أكثر لما يكون ذلك بكل براءة وعفوية وتلقائية، لم نتكلف فيها انتقاء الكلم، ولا تخير العبارات البليغة، بل يخرج الكلام رِقراقًا مُنسابًا كما يتدفق الماء بالغدير.. وكما تبعث الشمس خيوطَها الذهبية دون أن تخطط مسبقًا لمشروع النور.. وكما يهطل القَطرُ المجبولُ على الجود والسخاء مدرارًا، وكما ينشر الورد عبقَه، والنسيمُ شذاه دون أن يستأذننا.. أو نأخذ منه لذلك موعدًا. هي قلوبهم الصافية المرهفة، الحساسة لجمال الروح.. وآذانهم المنتقية للسمو والرقي، وأرواحهم العذبة الشفافة؛ ترغمنا على رحلة الألق والصفاء والنقاء. وتبقى عبارتهم: "أسعدك الله كما أسعدتني" جميلًا يطوِّق أعناقنا، وأمانةً

في عهدتنا، ما تعهد الجمال أن يكون لأرواحنا البروازَ، وما ظلت قلوبُنا الشفيفة تتبرج بمعاني الود، وقواميس الرقة والعذوبة.

- بعض الأقوال والأفعال إذا طُلب من الآخر - تصريحًا أو تلميحًا - قولَها، أو القيام بها؛ فقدت معناها.
- طوِّقوهم بحُبكم وبهداياكم؛ رُبّ هدية صغيرة ألّفت بين القلوب، وأَنْست سالفَ خصامٍ.. فإن لم تجدوا؛ فابتسامةٌ وبشاشةٌ وكلمةٌ طيبةٌ ورحمةٌ.. تلك أبسط معاني العيد؛ لمن أراد أن يكون له - بحقٍّ - سعيدًا.
- تلك العصافير المترنمة كلَّ صباح قربَ شباكك؛ ما لديها ما تهديك، سوى تغريدتها الصباحية.
- اعترافك بإبداع الآخرين، لا يُنقص من تألقك شيئًا.
- "ذكرني بالله؛ كلما لمحت ضعفي، وكلما رأيت غرقي في لجج الأحزان".. تطبيق عملي للتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.
- بعض المواقف تكتب نفسها بنفسها.. في عز الظمأ ترويك قطرة، وتحس بالصدق في كلمة "افتقدتك"؛ فتنتشي لدرجة البكاء.
- مرات عديدة، لا نحتاج إلى من يصفق لنا.. ولا إلى من يصدقنا، أو يعذرنا.. لا نحتاج؛ إلا إلى من ينصت باهتمام إلينا.

- والروح تئِنُّ لأنينهم.. ومع كل أنَّة، تتبعثر حروفنا وتغور آلامنا.. ولا نملك لهم سوى الدعاء.

- بعض الناس تود لو عندك عيون أخرى. وقلب آخر، وعُمْر آخر؛ لتهديهم إياها.. تخشى عليهم من ألم الفراق؛ إن افتديتهم بقلبك ورحلت.

- لطالما آمنت بمقولة: (فاقد الشيء لا يعطيه)، وكنت - جدُّ - مقتنعة أن من فرَغَت جعبته من شيء؛ فيستحيل أن يجود به.. لكنني بتُّ متيقنةً الآن، وقبل أي وقت مضى؛ بأن هذه العبارة ليست على إطلاقها، وبأن فاقد الشيء قد يعطيه.. وقد يملأ الدنيا بما لم يُعطَ هو، وبأن الكثير من المفارقات هي ما تصنع التكامل، وترسم جمال الحياة.. نأخذ الحكمة من أفواه السفهاء، ويعلمنا الفاشل كيف ننجح، ويقودنا المنهزم إلى قيادة المعركة ببسالة وجسارة وانتصار.. وكلٌّ منهم قد فقَدَ ما فقَدَ في ميدانه، لكنَّ المفارقة أبتْ إلا أن تجعل مَن كان مِنَ المفترض أن يكون سالبًا؛ أن تجعله فعّالًا نافذًا مؤثرًا دافعًا للمركبة.

- الحب والاحترام والتقدير، أكبر دافع للمرء أن يُخرج أحسنَ ما فيه، وخير ما عنده. والاحتقار وعدم الاهتمام والسخرية؛ كما الصخرة تسدُّ فوَّهة المنبع، ولا تترك من الماء ما يتدفق منه إلا ما تسلل خِلسة من بين نُتوءاتِها، وشقوقها.

- جميل أن تجد في المحن من يواسيك، وينصت إليك، ويحمل عنك، ويرتشف دموعك.. والأجمل، أولئك الذين يشاركونك مشاهدَ التفكر في اللطف والود، ويقتسمون معك وارداتِ الحكمة، ويبتسمون لوَمْض بسمةٍ منك.. قد نَزَّت من شقوق شفتيك المتكلستين المصلوبتين على مقصلة انتظار الفرج، وقد علموا فذكَّروك أن الفرج لا يتخلف عمَّن فوَّض الأمر لفارج الكربات.. تلك المُزن التي إن لم تصبّ عليك وابلَ الرحمات، وأنت في جدب المحنة والمعصية والتيه والشرود؛ فطَلّ.

- وحدهم أولئك الذين يخوضون معاركهم.. بابتسامة ينتصرون.. أما الذين تُعشّش في قلوبهم رتابةُ الماضي، وقسوة الماضي، وتفاهة الماضي؛ أشقياء.. ما عرفوا أنَّما الصبح تمزيقٌ لسُدول الليل، وإشراقةٌ مع بسمة الشمس، وصدْحٌ بترانيم البشارات واليقين فيها عند الله.

- ولا أرى من حلٍّ للمشاكل الزوجية.. ومن وسيلة لجعل السعادة ترفرف بين الزوجين - بعد الاعتصام بهدي نبينا ﷺ - إلا العاطفة والسخاء والذكاء.

- لم تفشل، ما دمت تستطيعُ أن تغير فيهم.. ما لم يُكتب أن يتغير لك أنت.

- أبشرْ من ربٍّ كريم، محسن، شكور، بالخَلَف وبالإحسان؛ كما أحسنت، وأنفقت على من ولّاك الله شأنهم.. فإن كنَّ بناتٍ، فأبشر بالزكوات والبركات وفيض الخيرات.. وأن يرزقك الله - وإياهن - خيرَ ما رُزق مستعْطٍ.
- هل يعفينا كوْن من نتعامل معهم.. لا يفهمون معنى الإحسان؛ من أن نؤدي حقهم علينا؟ إنما الوقوف بين يدي الله، وسيحاسبنا على التقصير، فهل يمكن بحالٍ أن يكون جوابنا: هم لا يقدّرون ولا يفهمون؟
- لا حقّ لك في الضعف أيها الحاملُ غرسًا قد بذرتَه وسقيتَه دمعًا ودمًا، ولم يبق لك سوى القِطاف.
- وحينما يَسلم الفكرُ من الانحراف والفساد والعنف، وتُبنى الرؤى والمعاملات على الحب والرحمة؛ يسهل أن تتوهّج فتيلة الحق في القلب، فتنير شُعبَه، وتدبّ الحياة في نتوءاته، ويتعدى نورُه لمن حوله.
- مرات نتمنى لو كنا أقل اطّلاعًا على أعماقنا، وأقل فطنة ونباهة لما يجري حولنا، وأقل إحساسًا وشاعرية، وأقل تعاطفًا مع من نحب؛ كي لا نتعذب لأجلهم.. فأصعب الآلام تلك التي لا تكون أنت جزءًا منها، ولا هي جزءٌ منك، إلا بقدر ما تُقحمك فيها مودتُك لغيرك، وشعورك بمعاناتهم.. من يتألم بسبب

مشكلة تخصه، لديه كل الحيل الدفاعية كي يتجاوز الألم، فوحدُه يعلم الحقائق والمخبوءات، وكلَّ تفاصيل الحكاية، أما أنت أيها المصلوب على حافة ألم أحبابك.. فما يجديك غير أن تتألم لأجلهم بصدق، وأن تسكب لأجلهم العبرات الحرَّى الصادقة، وأن تهجر الراحة والنوم، وتُمضي وقتك تنتظر أن يكفُّوا عن الألم؛ كي يبرحك أنت.

- جريمة..

أن تُمنع ما تريده من الحياة فتمنعها - انتقامًا - عطاءك.

- إن كنت تستطيع أن تعطيها وأنت تفضل عن ذلك المنع؛ فانظر على الحقيقة ممن تنتقم.
- وما قيمة مضغةٍ في جسدك حرَمْتها أن تنبض حبًّا ورحمة!؟
- سألتني: كيف حالك؟ قلت: حالُ من تيقَّن أنه قد أخذ حظَّه مما عفَت به الحياة، فلم يعد ينتظر عطاءها، وقرر - عوضًا عن ذلك - أن يعطيها هو.
- وهل لأنك نُكبت ولُدغت من ذات الجُحر مرتين أو ربما مرات، سيغير ذلك من طبعك ومن مبادئك، ومن نظرتك للأشياء المبنية على فهم صحيح لما هو مطلوب منك تحقيقًا للعبودية، وامتثالًا لأمر الله في معاملتك غيرك؟ تأخذ بالأسباب، وتتوخى الحذر، وتعلم أن لدغتك تمحيص،

ونكبتك ابتلاء.. تحاول استيعاب الدرس، وتمضي في طريقك رافعًا لواء الحق، والعدل، والخير، والطيبة.. أنت بربك، ومع شرع ربك.. وليس لنعيق ولا لزمجرة أن تعوقَ مسيرك، أو أن تغير مبادئك.

- حينما تمتد حياة قلبك إلى غيرك، وتستقي كُنهها من الشعور بمن حولك؛ فإن فرحك ماهو سوى تخطٍّ لإدراج ذاتك، وتوحُّد معهم، وألمُكَ إنما هو مشاركة لأحزانهم، وغوصٌ في باحة شعورهم.. تنسى نفسك فيهم، وليس بينك وبين أعماقهم سوى ما يفصل بين المساحات والأماكن، واختلاف الأسماء، والذوات.

- وهل لأنهم خانوا.. ستخون!؟

- حينما تلوذ زوالًا بفراشك، تلتمس في دفئه انتصارًا على الصقيع، وراحة بعد كد طوال الصباح، فيُصرُّ ذلك البائع المتجول أو مشتري الحاجات القديمة، أو سائل الخبز اليابس الذي يسترزق ببيعه لأصحاب الدواجن، على رفع أصواتهم أو المكبر في نداء متكرر، وكأنهم يستعطفون القابعين تحت الفرش، وقرب السخانات أن يتنبهوا لهم ولحالهم.. لا تدعو عليهم ولا تُلزمهم في حالهم ذاك بآية الاستئذان، ولا تتحامل عليهم، أو تتعاطف - ولو سرًّا - مع جارك الذي أخرج رأسه من الشباك مزمجرًا متبرمًا

منتهرًا ومتوعدًا.. تذكر أنك في الوقت الذي كنت تملأ بطنك بما لذ من الطعام الساخن حتى كان الامتلاء سببًا في الاسترخاء، وطلب النوم، وفي الوقت الذي احتميت فيه من البرد والمطر بسخّانك وبطانيتك، كان هو يكابد رحلة اللَّف على الدروب والحارات، ويحمي - فقط - عربته المحملة بقشِّه - مورد رزقه - ، وقد ترك رأسه وجسمه معرَّضًا لما لا يمكنه بحالٍ الاحتماءَ منه.. مادام ينتظره سبح طويل، وتسكُّع مُضْنٍ في الطرقات.

- هذا الذي حمل قلبه بين كفيه، يتصدق بشغافه عمن حوله، ويسيح دماءه على أعتاب المتحوّجين.. يغدو في حاجة من عرَف.. ومن لم يعرف، ويروح بالقناديل يُنير بها خطوَ المثقلين بالأوجاع، ويلتقط خزف البسمات من براميلَ شجْوه، يوزعها غنيمةً لمن تشوَّفت روحه للغنائم. بشراه.. اسمه مكتوبٌ في السماء بين الآمنين.

مجرد إنسان

- ويحدث أن تُسلِّم لنفسك بأن تختبئ في حضن إنسانيتك.. وأن تستسلم بين يديها.. وتنتشي أنك أنت.. أنت.. في عينك أنت.. تتوارى عن أعينهم؛ كي لا يَنْصبوا لنشوتِك الكمائن، وكي لا يفرضوا عليك جزيةَ اعتناق الفرح.. ويحدث أن تصدّق بأنك لست من هنا.. وبأن وطنك هناك خلف المجرّة بعيدًا عن درب التبانة.. فتُغمض عينيك، وتهيم أنك - فعلًا - قادمٌ من هناك.
- يا ليت لنا قلوب الأطفال، وحكمة العجائز.
- المرض، وجه آخر للصمت، وللاغتراب.
- هو قلب واحد، وعقل واحد، وروح واحدة، فإما أن نشغلها بما يحييها، وإما أن نشغلها وتشغلنا بما فيه كل شيء.. إلا ما منه حياتُها وهناؤها، وسكينتها.
- تلتفت إلى الحزانَى المكروبين من حولك، فما من دمعة من دموعهم إلا ولك في المؤقتين مثلها، وما من أنَّة.. إلا وحشرجةٌ منها في صدرك، وما من آهة.. إلا ومنها قد تمَزّق الشريان.. وتنسى أن تنظر إلى من عافاهم الله وعافاك مثلهم،

وأغناهم الله وأغناك مثلهم، وأطعمهم الله وأطعمك مثلهم، وجعل لك من كلٍّ ما وهبهم نصيبًا مفروضًا.

- منتهى العجز والضعف.. أن تُضطر - راغمًا - إلى أضيق الطرق، فتجد نفسك لا أنت بقادر على المضي، ولا أنت بقادر على النكوص، ولا أنت بقادر على الوقوف.. حيث أنت.
- من سيصدق أن هؤلاء الذين اعتادوا على أن يُعيروا أسماعهم وقلوبهم وأرواحَهم لمن يلقوا بأحمال أوجاعهم بين أيديهم؛ يحتاجون أيضًا لعقل واعٍ، وسمعٍ فَطِن، يحمل عنهم همَّ البوح، وعبء الأحزان؟
- بارعون في تقمص الآخرين، فاشلون في تقمص الذات.
- أشياء كثيرة في حياتنا، نتعلق بها.. حدَّ أن نكرهها، وأن نكره أنفسنا فيها.. نريدها؛ لأننا لا نستطيع إلا إرادتها، ونكره أنفسنا؛ لأننا لا نريد أن نستطيع كرهها.
- ذلك اللقاء مع نفسك، وتلك الطلَّة على المرآة، وأنت تتساءل: من أنا؟ أحقًّا هذا أنا؟ .. قد نجحوا - حقًّا - في أن يجعلوك ترى نفسك بعيونهم، وتسرب كلامُهم إلى أعماقك، ورؤيتك للمرآة بهذا الشكل، ما هي سوى محاولة بارعة لتكريس ما قالوا.
- من السهل حال العافية أن ننصح ملْءَ أشداقنا بعدم الاكتراث لإساءة مَنْ حولنا لنا، لكن حالة الاصطدام قلَّما.. وقلَّ مَن

يستطيع السيطرة على المشاعر، فضيق النفس وكدَرُها من الإساءة جبلَّةٌ بشرية، ومزاجٌ إنسانيٌّ.. لا أحد يستطيع أن يتفادى الوقوع فيه.. والنبي - ﷺ - كان يحزن، ويصيبه ضيق في صدره؛ بسبب إيذاء الكفار له، بل حتى كتمان ما يُكدّر قلّما نستطيعه، وقلّما نجد في أنفسنا طاقة لكظم الغيظ، وهو الكمال المطلوب، لكنْ.. لعلم الله - سبحانه - بتفاوت قدرات النفوس، بل بتغير النفس الواحدة أمام نوعية الظلم التي يحيق بها؛ لم يكلفنا ما لا طاقة لنا به؛ فأجاز للمظلوم أن يتظلم، وأن يُخبر عن ظالمه، بل وأن يدعو عليه..

قال البغوي - رحمه الله - :

قوله: (لا يحبُّ اللهُ الجهرَ بالسوءِ مِنَ القولِ إلَّا مَنْ ظُلِم) يعني: لا يحب اللهُ الجهرَ بالقبح من القول إلا من ظلم، فيجوز للمظلوم أن يُخبر عن ظلمِ الظالم، وأن يدعو عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ (الشورى - 41)، قال الحسن: دعاؤه عليه أن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي منه، وقيل: إن شُتِمَ جاز أن يَشْتُم بمثله، لا يزيد عليه) ا.هـ

وقال صاحب التحرير والتنوير في تفسير نفس الآية:

(ورخَّص اللهُ للمظلوم الجهرَ بالقول السيئ ليشفي غضبه؛

حتى لا يثوبَ إلى السيف، أو إلى البطش باليد. في هذا الإذنِ توسعةٌ على من لا يمسك نفسه عند لحاق الظلم به، والمقصود من هذا هو الاحتراسُ في حكمِ لا يحبُّ اللهُ الجهرَ بالسوء من القول. وقد دلَّت الآية على الإذن للمظلوم في جميع أنواع الجهر بالسوء من القول، وهو مخصوص بما لا يتجاوز حدَّ التظلم.. فيما بينه وبين ظالمه، أو شكاية ظلمه: أن يقول له: ظلمتني، أو أنت ظالم، وأن يقول للناس: إنه ظالم. ومن ذلك الدعاء على الظالم جهرًا؛ لأن الدعاءَ عليه إعلانٌ بظلمه، وإحالته على عدل الله تعالى).

فلا تلزموا بأقصى درجات الكمال من لم يتعدَ حدود الله، وحامَ حول الرخصة، فما تطيقه أنت قدْ لا يطيقه غيرك، وما يطيقه أحدُنا أمام غيبة أو نهب أو عنف جسدي، قد لا يطيقه إن كان المساس بدينه أو بأخلاقه، أو بكرامته.

والحمد لله ربِّنا الحكيمِ، العليم، الخبيرِ الذي خبَرَ نفوسَ خلائقه؛ فشرع لهم أن تدور أفعالهم بين الإسلام والإيمان والإحسان، ولم يكلفهم ما لا يطيقون.

- التبريرات المتواصلة لأخطائنا حيلةٌ دفاعية نحمي بها أنفسنا – مؤقتًا – من الألم والأسى وخيبة الأمل.. ولو تعاملنا مع إخفاقاتنا بمزيد حكمة لما وقفنا عند نقطة الألم، ولجعلنا من

فشلنا فرصةً للنجاح.. لا عيب أن نخطئ، ولا إشكالَ أن نؤنِّب أنفسنا دون جَلْد عنيف؛ فالاعتراف بالخطأ دافعٌ حثيثٌ لإصلاحه، ومناسبةٌ لتفاديه فيما يُستقبل من الأيام، فلا نجعل الاعتراف مبلغَ طموحنا؛ لنقنع أنفسنا أننا شفَّافون صادقون مع أنفسنا، ولا نعلق أخطاءنا المتكررة على شماعات التبرير.

- ربما نحن لا نحتاج أحيانًا كثيرة إلى من يبجِّلنا، ولا إلى من يصفق لنا، أو يوشحنا بأوسمة الإعجاب.. تكفينا كرامة محفوظة، ولطفٌ يَنُمّ عن احترام واعتراف، واعتذار.. إن كان الخطأ.

ما أبسط الحياة! وما أكثر من يجعلها ترسانةً حربية، فلا يخرج منها إلا بالخسائر، والهزائم، والفقد!

- خطؤنا في الكثير من الأحيان، أننا نقصد الماء الراكد.. نودُّ أن نصطاد منه سمكًا، أو إلى بؤرة صخرٍ نريد أن يصبح الصخرُ جوهرًا.. نخطئ في التحديد ابتداءً.. وإذا ما اكتشفنا خطأنا؛ غابت عنا بوصلة تصحيح المسار.
- نوصد أبوابنا دوننا.. ثم نكمل الرحلة نتلصّصُ علينا.
- إنما أنت نبتة؛ فاخترْ.. أتكون شجرة ذات ثمار، أو شجرة لا ثمار لها؛ لكنها وارفة الظلال، أو بقلًا ينتشر.. وينمو، ولو لم تبذُرْه يدُ زارع، أو نباتًا بريًّا طفيليًّا، إذا ما أفسد لم يكن له دور في الاستصلاح.

- أؤمن بمسألة بشكل غريب: أن الملائكة في السماء.. وأن مَن على الأرض آدميٌ معرَّض للخطيئة كما أبيه.
- ويوم نتوقف عن اللهث وراء "ما قالوا" و"ما فعلوا" و "ما لم يفعلوا" هم، ويوم نغيّر اتجاه بوصلة سبَّاباتِنا من أقصى الأمام إلى صدورنا محابس زلَّاتنا، ومخابئ سرائرنا، ومعاقل تقصيرنا وضعفنا.. وحينما نُوقِف الزمان على أعتاب أخطائنا، ونشغل بها أنفسنا عن زلات غيرنا.. حينها فقط، سنعلم أن الستر نعمة وتفضُّل من السِّتِّير سبحانه، وبأن ما يجرّئنا على فضله؛ إن هو إلا حلمه وغفْره وإمهاله سبحانه.. وسندرك حينها، أنه لو كان للذنوب والخطايا روائحُ، لزَكَمنا بها مَن حولنا، ولجعلناهم ينفضُّوا عنَّا، وينسلخوا من حبِّنا انسلاخَ النهار من الليل.
- هؤلاء المفَرَّغون من كل شيء، عدا من أرواحهم وإنسانيتهم.. كم يَشْقَوْن بالمعاني، وبأبوابهم المشرعة التي تنقل لمن حولهم تفاصيلَ النور، وتحجُب عنهم رؤيةَ بقاياهم العالقة في شباك الحياة.. يتألمون أنَّ غيرَهم لا يرون فيهم إلا ما يمكنهم رؤيته الآن، يعلمون أنهم - يومًا - سيتحلل طيفُ الضوء المكتسح الأرض تحت أرجلهم، ويتكلس الظلُّ صنمًا شاهدًا على أن الحياة قد عبرت - يومًا - هيكلهم، وكفَّت - دون سابق موعد

- عن المرور.. يومها، سيعلمون وسيوقنون أن الضوء غيرُ كافٍ؛ كي يثبت لهم الحياة، وأن بقايا الطين - وحدها - ما تحدد وجودَهم وصفتَهم الرسمية في قوانين الأرض كأحياء.

- يتهاوى الجسد إذا ما تهاوت الروح.. ونتساءل: مابال أطرافُنا ثقيلة؟، وما لهذه الأرجل لا تكاد تحملنا، ومابال الأوجاع تهجم علينا لا نعلم لها سببًا، وما هذا الوحش الجاثم على القلب وعلى الأنفاس؟ إنها الروح الفارغة من نَسَائم الأذكار، ومن عبق الاستغفار، ومن معاني التوكل على الوكيل المجيرِ سبحانه.
- الآن فقط، أعلمُ لِمَ يُعادينا النومُ حينما نمرض أو نتألم.. ليذكّرنا أن الألم هو الحقيقة الأبدية، وبأن النوم هروب.. حرية. وبأنَّ رهينَ الحياة لا يحتاج إلى من يذكّره بأنه مازال على قيد الوجع.. حملة سهادٍ تفي بالمراد.
- ما أجمل النوم بعد وجع طويل! لا تضطر إلى أن تحابيه كي يَعُودك ولا إلى أن تستبقيه.. يحوّلك إلى لوحة سيريالية، ويقعد على مقربة منك يتأمل الخطوطَ المرسومة على تفاصيل وجهك.. يخترقك رويدًا رويدًا.. يسدل رموشك في عنفوان.. يذوي أعصابك، وينتشي بنغمِ قلبك المتصاعد، وهدير أنفاسك.. ثم ما يلبث أن يحمِلك إلى عوالمَ تنسيك - ولو للحظات - ذاكرتك الموشومة بالأدواء.

- داوُوا أحزانكم وإحباطاتكم بجرعات لامبالاة.. كثرة النَّبش تهيّج الثعابين.
- أكثر القرارات خطأ، تلك التي نتخذها في حالة انفعال.. تنتهي شحنة ردِّ الفعل، ونبقى رهائن تسرعنا.
- خذ النصيحة، واستفد من تذكيره لك بالله، ولا تحكم عليه باصطفاء ولا بولاية؛ فإنما هو حلم الحليم، وستر السِّتِّير سبحانه، يجرِّئُ على التحديث عنه، والتذكير به تعالى.
- ليس كلُّ من تكلم قد فهم، وليس كلُّ من فهم قد صدَق، وليس كلُّ من ادَّعى قد طبّق.
- (ولا يجرمَنَّكم شنئانُ قوم على ألَّا تعْدلوا.. اعْدِلوا هُو أقرَبُ للتَّقوى) وجزء من كلام الظلمة الجائرين حقٌّ.. نحن - فعلًا - بتصرفاتنا وأخلاقنا، قد نسيء للدين من غير قصد، ونُنَفِّر خلقَ الله من دين الله.. عدّل سلوكَكَ، وكُن بهم رحيمًا، واحْمدِ الله على العافية ونعمة الهداية، وخصِّص جزءًا من دعائك لمن ضلَّ عن ربه وحاد.
- كل كلمة، وكل حركة، وكل ردة فعل؛ إنما هي وسائلك لإثبات هويتك ووجودك، ومن تكون. ولكي تحافظ على شخصيتك؛ فلا تتسرع في الحكم قبل التحليل، ولا في الرد قبل الفهم والتدقيق.. إنما التسرعُ دلالةٌ على هوّة سحيقة

بينك وبين استيعاب شخصيتك قبل استيعابك لما حولك.. واسأل الله السداد والتوفيق، وألا يكِلَك في رؤيتك للأشياء إلى نفسك طرفة عين، وتضَرّع إليه أن يريك الحق حقًّا، ويرزقك اتباعه، وأن يريك الباطل باطلًا، وأن يرزقك اجتنابه.

- احذر رقيق القلب، شفيف الروح، مرهف الإحساس؛ إذا ما قسا.. فإن الفيض في لحظة يلغي الرهف، ويسلم للعتو وللقساوة مقاليدَ السطوة.
- الأمان الذي يحتاجونه منك ،أنت أكثر حاجة منهم إليه.. لست تلقاه.. ومع ذلك، عليك أن تمنحهم إياه.
- إنسان إنسان.. بتفاصيل الإنسان، وفيض الرحمات، وقلب من جوهر، ومسك، وعنبر.. وإنسان نحْتُ إنسان.. بتفاصيل صلصال، وقلب من طين لازب.. ومسمى إنسان.. قد خانه صدره فابتلع القلّب.. وصار الخواءُ يزمجر في صدره.
- كتب أحدهم رسالةً طويلة جدًّا لصديقه، وختمها بقوله: "أعتذر عن الإطالة يا صديقي، لكنني لم أستطع الاختصار.." هكذا نحن في الكثير من المواقف.. يسعنا العسيرُ بكل عسره، ولا نستطيع اليسير.. تحصد أرواحنا كوماتِ شوكٍ، وتعجز عن قطف وردة.. وتمتد أعيننُا للسراب ويُعجِزها

تأملُ المروج.. ليس رضًا ولا قبولًا بالمتاح؛ إنما لعجزٍ دفين متشعِّبٍ يقف للاستطاعة بالمرصاد.

- لمَ يلومون غريقًا تعلق بقشةٍ؟ ألأنه أرادَ التشبث بالحياة؟
- مرهِقٌ ألا نعلم ما نريد.. والأكثر إرهاقًا أن نعلم تفاصيلَ ما نريده.. وأن نُمضي عمرَنا نلاحِق الأمنيات المعلقة كما الثريا في سقف التطلعات السامق.
- إذا كنت قربَ محروم؛ فلا تعرض بضاعتك أمامه.. لا تدري، فلربما أحزنت قلبَه الذي يجاهده كي لا يلتفت لما في يد الناس، ولربما أوغرت صدره غيرةً، ولربما كنت سببًا في تسخطه من الأقدار.. وفي عدم رضاه عن ربه.
- وما رَأَيْتَهُ إذ رأيْتَهُ.. ولكنْ رأيت سترَ الله عليه.
- أن يساكنك المرض.. يعني أن تسكنك الحكمة.. تلك التي تهديك إلى أن تعتقد في تفاهة كلِّ شيء حولك.. وفي عبثية الحياة.
- ونتنفس الصعداء، ولا نفهم.. لمَ هذا الإحساس المفاجئ بالارتياح.. نبحث ونبحث عن السبب، فإذا بنا تحررنا – فعلًا – من عبء مسئوليات كُنّا نظن أننا قادرون على إرغام أنفسنا على تحملها، فإذا بالإحساس بالحِمل الثقيل جاثمٌ على الأنفاس يكبّلنا، ولو أنه ما زال مجردَ مشروعات قادمة لم

نباشرها بعد.. تضيق شعاب التنفس.. تسهر العين.. تتبعثر الخطى في إلحاحٍ مستمر أن ننقذها ونعتقها مما لا طاقة لها به.. نحاول أن نرتبَ أوراقنا، وأن نقدِّر في أذهاننا المآلات، وأن نضع طاقاتنا موضعها، لكن سرعان ما نُغمض أعيننا عن كل شيء، ونمضي.. فيأتي لطف اللطيف - سبحانه - بأمر خارجي يمسح عن أعيننا الضباب، ويواجهنا مع المرآة، ويُنْزِل قدرتنا منزلها.. فيكون منَّا الارتياح، وشكر اللطيف على لطفه.

- بعض الناس قد أفسدوا عليك دنياك، فاحذر أن يضيعوا عليك آخرتك.
- حتى مسلَّماتنا أصبحت كما الماء الآسن، تتغير بطول المكث.
- ونتحدث.. لا نخجل من شيء.. ولا يوقفنا شيء.. ويقفز الأنا متبخترًا!! ألم يجد من يسأله: "ومن تكون أنت؟"
- قال: "القلوب الطيبة جواهر.. بين أكوام الحجارة." فاغرورقت عيناي بالدموع.. لا أدري.. أعلَى تلك الإقامة الجبرية للجواهر بين أكوام الحجارة، أم خوفًا من أن تَحِنّ الجواهر - يومًا - إلى أصلها، فترجع طوبًا وصخورًا.
- أحيانًا، يكون الدفاع عن شيء ليس بدافع المبدأ، أو لاستحقاق ذاك الشيء الدفاع عنه في حد ذاته، وإنما يكون

إما دفاعًا عن حقنا فيه، أو لأنه يوافق هوانا، أو لأن عدم الدفاع عنه؛ يهدد مصالحنا، ويكشفنا على حقيقتنا.

- لست شيطانًا مريدًا.. ولكنك لست ملاكًا.
- تنسيني عفوِيَّتي أن رأيي قد يخالف مخاطبي، وتنسيني تلقائيتي أنه قد يستفزه ردّي من غير قصد مني، وقد يجعله يأخذ مني موقفًا في وقت كنت لا أفعل أكثر من التعبير عما خالجني ساعة الكتابة.. فلتشفع لي عندك.. سلامةُ نيتي، وحسن طَوِيّتي.. ما دمت لم أتقصّد إيذاءك.
- لستُ مضطرًّا لأن أبرر لك، فإن أنا فعلتُ فأنت بالخيار، إما أن تعذرني رحمة بي وبك، فإن أنا أصبت فيما ذهبت إليه؛ فقد كفيتك مؤنة السؤال، وكفيتني مؤنة الإقناع، وإن كنتُ مخطئًا فيما فعلتُ، فلي ربٌّ يسترني، ويعفو عني، ويجبر كسري، شكورٌ يعطي على القليل الكثير، ويغدق بنعمائه على قدر نيتي واجتهادي.. وإما ألا تعذرني، فلي أجرُ اجتهادي.. وإن لم أصب، ولك الوزر إذ أسأت الظن بي.. وإن أردتَ كثيرَ إنصافٍ؛ فاحكم على الأفعال، وخلِّ بيني وبين ربي، ودع النياتِ لرب السرائر.
- نحن نتقن ممارسة التهويل مما يخيفنا، ومن فرحتنا قد نبالغ في التشويق.

- ونتوسط حتى نميل عن الخط المستقيم، ونترخص حتى لا نبقي في ديننا عزيمة، ونمضي أيامنا في التسويف والتبرير والركون للرجاء دون الخوف.. ونمضي في دروب الحياة غافلين.. وكأننا أُورِثْنا مفاتيح الجنان، وقيل لنا لا تثريب عليكم، اعملوا ما شئتم قد غفر اللهُ لكم ما تقدم من ذنبكم وما تأخر!

- رُبّ ذنب وقع فيه غيرك؛ حثَّك على ألا تظن بنفسك خيرًا، وأن تبتعدَ عن التعالي والعُجب والغرور، وجعلك توقن أنك مهما بلغت من مراتب العلم والتقوى؛ إنسان. وإن أردت محاكاة الملائكية، والسير في دروب النور؛ فطبعك الآدمي غلاب.. وأن تستشعر لطفَ الله بك إذ وقاك نفسك الأمارة، وألا تأمن مكره سبحانه.

- قلما ننتبه إلى أن ردود أفعالنا - ولو أنها من المفترض أن تحكم وتضبط بالكتاب والسنة - هي وليدة المسافة بين المثير والاستجابة، والتي تشكلها - عادةً - الإرادة والضمير وغيرهما، وقد تكون هذه الاستجابة عند البعض - في بعض الأحيان - حيلة دفاعية من قبيل الإسقاط، فينسب ما به من عيوب إلى من حوله، أو الإضفاء، وذلك بنسبة بعض من مشاعره السلبية إلى الآخر تخفيفًا من وخزة الضمير،

وشعوره بالإثم، ولوم الذات؛ لذلك تراه يُمضي جلَّ وقتِه في التجريح، وإسقاط من حوله من هذا المنطلق..

وتبقى بشريتُنا فينا مستحكمة مهما رُمْنا معانقةَ الملائكية والنور.

- أن يضيق صدرنا بغيرنا، ونحاول إلزامه بآرائنا من غير تفهم لوجهة نظره؛ يعني أننا لا نرى في الحياة غيرنا.
- وينسينا الركضُ أننا لسنا على عجل، ويعلّمنا الصمت أن الفراغ وجل، وننسانا على عجلة الحياة، ويوهمنا الخفوتُ أن السكينة والسكون.. دجلٌ.. دجلٌ.. دجل.
- وبقدر ما نريد أن نكون قدوة لأبنائنا، ونجهد أنفسنا من أجل تحسين صورتنا أمامهم، وإهدائهم رشاحة تجاربنا على طبق من ذهب، بقدر ما نخشى عليهم من اتخاذنا قدوة في كل شيء، حتى في حلولنا الاضطرارية لمواجهة معارك الحياة.
- هم - أيضًا - بشر، ويخطئون كما نخطئ نحن.. والقلم الذي لم يرفع عنهم، غير مرفوع عنا نحن أيضًا.
- من أول لحظة يُرفع فيها عنّا القلمُ بعد موتتنا الصغرى؛ تبدأ رحلتنا الشاقة مع المكابدة والمجاهدة.. نحن ابتلاءُ وفتنةُ بعضِنا البعض، فلا نكن للشيطان عونًا على أنفسنا، وعلى إخواننا.. ولا نُعسّر على بعضنا الامتحان.. (اللهم عالم

الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد ألا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءًا، أو أجرَّه إلى مسلم). وكلما زعمنا أننا قد تعلمنا من تجارب الحياة، وأننا قد صارت لدينا الحنكة الكافية لتفادي كمائنها؛ جاءتنا بأحداث جديدة تثبت لنا أننا ما زلنا نحبو فيها.. تعاملنا كما الرُّضّع، وكلما رأت قلقًا وتحسبًا لما ترميه من امتحانات في طريقنا؛ ربتت على أكتافنا، وطمأنتنا بما يجعلنا نثق فيها، وأحكمت اختبارها، وتلذذت - وهي ترانا فرائسَ سائغةً في أُحْبُولاتها التي لا تنتهي.

- أصعب تلك المواقف التي نمرُّ بها.. تصرفٌ بريء نخطئ فيه التقدير بعفوية، فيحسب علينا خطأ وجرمًا لا يغتفر.
- أراد أن يُدخل الفيل سمّ إبرة؛ فكسر الإبرة، وألَّب عليه الفيل.
- إنما فطرنا على أن يتجاذبنا تارة ما نستمد منه النور، و تارة ما يهوي بنا للطين.. ولو أننا استفقنا يومًا فوجدنا كلَّ همِّنا شكرًا وذكرًا وحسنَ عبادة وتشوقًا لرضا الله، دون أن يعكر علينا الشيطان والأمارة بالسوء صفاءنا ونورانيتنا؛ لكان حفِيٌّ بنا أن تصافحنا الملائكةُ في الطرقات، أو أن نُرفع معهم

للعبادة.. إنما نحن إنسان، نسدد ونقارب، وكل رجائنا في الحليم الكريم الغفار الجبار أن يوتينا من بحار كرمه، وأن يغفر زلّاتنا، وأن يجبر ضعفنا وكسرنا.

- أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي[1].. *

عبارة ردّدها من عاش بين من عُرفوا بكثرة صيام وطول قيام..

عبارة ردّدها لينفي عن نفسه حب الشهرة والتَّسميع للأنام..

وغيره منّا إذا ما وُفّق - يومًا - إلى الاستيقاظ قبل أذان الفجر - قدر ركعتين بعد طول غفلة ومنام - يصلي فيهما من السور بالقصار، خشية أن يباغته الأذان قبل السلام.. يقصر ركوعهما.. وينقر سجودهما، ويفوق التثاؤب فيهما عدد الأذكار.. حتى إذا ما أسفر الصبح، بثّ إلى كلِّ مَن حوله خبره، وأقسم ألا يذره حتى يذكر عُجَرَه وبُجَرَه[2]. فنمَّق الحديث عن القيام.. وذكر اطمئنان قلبه هذا اليوم مقارنة مع

(1) روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن حصين بن عبد الرحمن قال: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ.. (الحديث)

(2) ذَكَرَ عُجَرَهُ وبُجَرَهُ: عيوبَه وأمْرَهُ كلَّهُ، ما أخفى منه وما أبْدَى، وفي حديث عليٍّ: إلى اللهِ أشكو عُجَري وبُجَري، وجاءَ بالعُجَرِ والبُجَرِ: بكذِبٍ أو أمْرٍ عظيم

باقي الأيام.. وذكر الخشوع، وسجوده الذي زينته الدموع، وطول أذكاره في الركوع.

ألا يا صاح، أفق.. ألا إنك لم تكن في صلاة..

ولكن..

- هو ذنبك وضعفك وهوى نفسك أنت، إن استحللته واخترته، واستمرَأْت نفسُك اقترافه، وأبيت إلا المجاهرة به.. فاحترم اختياري، ولا تدْعُني - فضلًا - إليه..

- قالت: أهو تعالٍ على المذنبين المقصرين، حينما سألتهم ألا يدعونك للمعصية؟ هل يعني أنكِ لا تسقطين - مثلهم - في الذنب؟

فقلت: ومن منا غير المذنب المقصر!؟ لكن الستّير - سبحانه - يسترنا بفضله.. بل هو الخوف من الهوى، ومن النفس المجبولة على الضعف أن تستلذ ما استلذوه، وأن تتشبع بما تشبعوا به؛ فأسقط في حبائلها وشركها.

- غريبٌ أنت أيها الإنسان، تثور على العدم، وتتعلق بالمستحيلات، وتتمسك بالجنون، ويأسرك المجهول، وتريد أن تجعل الحقيقة وليدة وهم.

- "اتق الله" عبارة قد تُرْبِك مخاطبَك.. قد تحرجه.. قد تجعله يرد - تلقائيًّا - ومن غير تفكير: (وماذا رأيتني أفعل!؟) ربما هي

نفس ردّة فعلك.. لو باغتك أحدهم بنفس القول.. في قرارة نفسك تعلم أن معاني التقوى أوسع وأشمل وأعمق من أن نتلبَّس بها كما هو مطلوب منا.. ربما لأننا نعلم أننا غرقى في التقصير، ولكننا نداري.. حتى إذا ما فاجأتنا العبارة صفعتنا لوهلة، وكشفتنا أمام أنفسنا، واستفزَّتنا لنخصف علينا من بناتِ الشفة لنواري عَوَرنا وكسرنا وعرجنا، واضطرَّتنا إثْرها إلى إعادة حساباتنا، وترتيب أوراقنا، وتفتيشنا عن بصمة الخطو على نقطة انطلاق الخط الممتد الطويل.

- متقاذفون نحن بين زخّات النور وخزف الطين، فتارة تتوق أرواحنا إلى السمو وإلى الملائكية، وتارة تجذبنا برك الطين إلى الدون والهوان.. وبين سقطة وتسامٍ، حكايات مدافعة، ومسارعة، وتجريد.
- أفضل ما يجعلك هادئًا منتشيًا بحياتك، صدقُك مع نفسك وتناغمك معها.. تعلم مواطن قوتك، ومكامن ضعفك وهَنَاتك.. وتحسن أن تلوح لعينيك في المرآة.
- وتصرخ الروح أحيانًا.. تسأل جرعة حياة.
- لا تلوموا ثرثرةً باتت تثبت للروح أنها مازالت تستجدي الحياة.
- بعض الشفيفين الصادقين في ألمهم، وفي فرحهم، وفي حبهم، وفي نقائهم.. حتى المعاني الصادقة تخدشهم؛ لذلك يتركون

أرواحهم نائمة في مَبْعدٍ عما يؤلمها.. يوجعها الكذب والزيف والخذلان، لكن ليس أقل مما يؤثر فيها الصدق والوفاء والنقاء.. دعوا أرواحهم نائمة، ومارسوا بَوْحكم في خلايا الذاكرة.. لا توقظوها بضربة حرفٍ فتستفيق مترنحة.. ثمّة كلمات صادقة حدَّ الوجع، فاحجبوها عن الصادقين.

- وليس جفاف الروح إلا بجفاف الأرواح حولها.. يتسرب إليها عُواء الرياح، ويُمنع عنها القطر؛ فتصير هشيمًا يتقاذفه الأثير.

- سلامي إليكِ من خرم الأنفاس أيتها الروح، حينما الروح من فرط شهيقها تتحوّر.. سلامي إليكِ حينما تقبلين، وحينما تدبرين، وحينما ترغبين، وحينما تأنفين.. سلام عليها إذا ما جاءت وباتت من وجعها تتضور.

- نسميها ضيقًا، ونسميها مللًا، ونسميها فراغًا روحيًّا، ونسميها غربة ذواتنا عنا.. وما هي إلا وحشة لا يزيلها سوى قربه، والأنس به، وصدق محبته.. سبحانه.

- نظرت إلى الأرواح حولي؛ فوجدتها ثلاث:

- روح عذبة شفافة نقية، كمرآة مجلية، تكاد ترى صدقها كالشمس بواضحة النهار، جرت عذوبتها على اللسان، وعلى الجوارح كالماء الزلال..

- وروح ضائعة بين المداهنة، تداهن تارة نفسها.. وتارة غيرها؛ فتحرق نفسها بنفسها..
- وروح متفلتة تائهة يعجزك الإمساك بها كقطعة صابون في يد مبللة..

(وتبقى الروح من أمر ربي، لا يعلم سرها إلا هو سبحانه)

- كم يلزمنا من الوقت كي نعيد ترتيب تلك الفوضى التي في أعماقنا؟
- ضجة الروح من حاجتها للرواء.. وهل أفضل من القرآن لها رواء؟!
- إذا ما تعثرتَ يومًا بنفسك وأنت تتقاذفك أمواج الحياة، والتقيت بها صدفة، حيث لم تكن تتصور لقياها، فاحرص على أن تصالحها.. أن تضمها إليك.. أن تعانقها.. أن تعتذر لها.. واحذر أن تضيعها مرة أخرى بين دروب الحياة وأزقتها، فلعلك لن تصادفها - بعد ذلك - مرة أخرى، ولعلك تلقى الله قبل أن تلقاها.
- ضَجَّتُك وأنت تبحث عن نفسك فلا تجدها؛ تُرْبك من حولك.. ابحث عن نفسك.. لكن في صمت.
- أحيانًا ونحن نبحث عنّا عندهم؛ نتعثر بنا.. نجدنا نحن.. نحن في ذواتنا، وليس بهم أو عندهم.. ننفض أعماقنا منهم..

وطيفهم الذي كنا نحتويه حتى ما ترك في جُنُوبنا لأرواحنا منّا مكانًا نطرده.. نشرده.. نخلينا منه.. لتستمر اللعبة، فنصادف - حيث ظنَنّا ألا ملجأ لنا عندهم - من يكمل النصف الفارغ منهم.. من لا يُحْوجوك للبحث عنك فيهم، فهم أنت.. وأنت هم، فيجعلون التكامل انصهارًا، والتوافق تطابقًا، ويغنوك عن الرحلة المضنية؛ لإثبات أيْنَكَ.. ومن تكون.

- شيء جميل أن تنظر إلى المرآة؛ فترى بداية تشكُّل قسماتِ ذلك الوجه الذي تريده.. ذلك الوجه الذي كنت تريده منذ سنوات فأبى إلا أن يقطع المسافات، ويخترق الخواء ولحظات الفراغ المريعة، ولا يقبل أن يتشكّل إلا من عبق الكسور، وشذى الجراح، وقصاصات الأمنيات.. أن تتموج المرآة أمامك.. تتلون.. تتكسر.. لكن في كل قسم منها ترى جزءًا من وجهك، ومعه عجلة من عجلات القطار أو طرفًا من السكة، أو جانبًا من رصيف المحطة. شيء جميل أن تنظر إليك في دهشة.. ولسانك يلهج بعبارات الحمد أن التقيت - أخيرًا - بذلك الذي كان لا يشبهك، فصار - الآن - يحتفظ بملامحك ويهيئك لأن تتوحد.. والمرآة.

- أصغِ إلى صوت الفطرة في أعماقك.. سيخبرك أن جذوة النور فيك لم تنطفئ، وأن جداول الاستقامة فيك تمدها من بعدها بحار نقاء غيّبك عنها خصامك الدائم مع نفسك.

وجعٌ.. بنكهة الخذلان

أتمـــوت في عـــز الــعــطــا أيــامــنــا
قــد تــاهــت الأحـــلام والأشـــجــان
الــقــلـــب يــنــعــي كـــل يـــوم وردتي
واسـتـعـمـرت أرجـوحـتـي الأكـفـانُ
قـد كـنـتُ يـومًـا في فـمـي أنـشـودتي
فــعــلام تـشْـمـل في دمـــي الأوزان
قـد صرتُ طـيـفًا في يـدي تلويحتي
وتـفـيـأتْ مـن مـهـجـتـي الأحـــزان

- لكل ألم نكهة.. أمرّها الخذلان.
- يقتلون الروح ويدَّارءون فيها، وينسون أن الله مخرج ما يكتمون.
- أكبر جرم يرتكبه من حولك في حقك، أن يحاكموك بسبب أقدارك.
- أكثر الصراعات استنزافًا لك، تلك التي تنازل فيها نفسك كي لا تضطر للقبول بالرضوخ؛ ليغوث ويعوق ونسر مجتمع

لا تملك إزاءه سوى الشجب والتنديد بصوتك المبحوح.. حتى إذا ما أنهيت آخر كلمة من شعاراتك المثالية، وجدت محاكمتك قد تمّت غيابيًّا وقت الشجب والهتاف.

- يظلمون ويخادعون، ويتفننون في صنع المكائد، ويبدعون في انتزاع حقك انتزاعًا.. ويحرصون على أن يكون ما يخططون له من شر في أعلى القائمة..

يجددون صباحاتنا ومساءاتنا، وينقذونها من الملل والرتابة، فيباغتوننا دومًا بالجديد..

جديدهم ينسيك القديم، ويجعلك دائمَ التشوف إلى ما ستحمله لك خستهم، ويعلمونك أن تكون دائمَ الاستعداد والأهبة؛ لاستقبال نكدهم بالاستغفار والاحتساب والالتجاء إلى الوكيل الحسيب المنتقم الرقيب المطلع على الخبايا وما تخفي الصدور.. وربَّ نقمة في طيِّها نعمة.

- وبعض من تلقيهم الحياة في طريقنا؛ غصة لا يسيغها ماء، ولا يزيلها دواء..

لعلها لن تبرحنا إلا بخروج الروح.

- وكلما لاقيتَ إساءة جديدة منهم، قلتَ: وماذا بقي من نذالتهم؟ لعلها أقصى ما يمكنهم فعله، ولعلها الأخيرة.. فإذا بهم يفاجئونك بشكل جديد، ونوع لم تتشرف - من قبل - بالاندهاش بسببه.. مخزونهم لا ينتهي.

- ولكم تلجئك دروب الحياة السقيمة إلى أن تتعامل مع أناس تضطر إلى أن تعتبرهم موتى إذا ما فضلوا الغياب عن المشهد، حمقى إذا ما أصروا على الظهور.
- قالت: لا شيء يجبر القلب المكلوم.. فقلت لها: عرضيه للخيبات المتكررة.. فبعض الهمِّ الجديد تطعيم ضد الألم، وضمادٌ يُسعف ما سلفه من أوجاع.. ولكي لا تُصْدمي؛ اعتادي - منذ اليوم - على ترقب الخذلان.
- أكثر ما يقتل الإبداع والتجديد، ألا تجد أرضية مناسبة لإبرازه، وأن تجد عوضًا عن ذلك من أخذ على نفسه عهدًا بإحباطك، وبأن يمارس العمى كي لا يرى ما تبذله من جهد.
- هل يفترض أن يحبَّك كلُّ من حولك؟

وهل يفترض أن يكون دائمًا السبب منك إن لم يحبوك أو يقدروك ويحترموك؟ بعضُ من تصادفهم في الحياة يُكِنّون لك العداء، ويؤلِّبون عليك من حولك، وينفخون من نيران حسدهم وغيرتهم وما حوته جوانحهم من حقد وغل وكسور، فيحترقون بنارهم قبل أن تصيبك أنت.

- من الأدعياء من يحبَّك على حرف، عينٌ على ما يستفيده من علاقته بك من مزايا، وعينٌ على سهوٍ منك بطبعك البشري يعطي نفسه به أحقية إسقاطك، وصبّ أنواع السخط والطعنات واللعنات

على شخصك المتجاوز لعثرة أو زلة، أو حتى لما لم يُكلف نفسَه التأكدَ من خطئه قبل تخطيئك.. فإن أنت دافعت عن نفسك بما يُفْحمه، اكتفى بما كان بينكما من تلاوم، وترك ما وزّعه حين ثورته وطفرة غضبه على من حولك وحوله رائجًا دون تصحيح.

- لربما يحزنك الاضطرار إلى معاشرة من يصرُّ على إحباطك أكثر من حزنك على إحباطك منه في حد ذاته.. ولربما يكون الذي يحزنك أكثر اختيارك - اضطرارًا - اتخاذ القرار، ودفع مهر اختيارك.
- لا شيء أثقل على القلب وأكثر تحسيسًا بالخيبة، من أن تكون واثقًا مما تفعل، ذكيًّا بالدرجة التي تجعلك تعلم متى تُقْدم.. ومتى تحجم، عارفًا دورك، وما تنتظره منك الحياة، تقرأ العيون، وتتقن الإصاخة للصمت، مبدعًا، تلوّن البهجة بالحياة.. فتضطر إلى أن تعاشر من لا يريد أن يراك، أو من يتقن أن يصنع منك نديمًا للإحباط، ويتفنن في أن يجعلك هامشًا، أو حدثًا خارج فصول الرواية.
- كثرة الخناجر تُعلّم الغدر.
- ستنضج.. بحجم خيباتك.
- ربما ما ينهكك، أنهم لايعبأون بالجانب الصعب فيك الذي لهم قد لان.

- وأعتى الألم أن تفتش فيك عن ذلك الطفل النائم في أعماقك.. فتكتشف أنه قد شاخ دون أن تدري.
- أحيانًا، تنظر إلى كم الأمنيات المعطلة الراكدة منذ سنوات؛ فتهمس لنفسك في حسرة: "كم تأخرْتُ"!.
- أجمل ما في الذكريات الأليمة أنها أليمة، كلما تذكرتها سارعت لأن تتحاشى الغرق في تفاصيل الوجع فيها.. وانتشيت أنها لم تكن جميلة تستدعي ألم الحنين.. هنيئًا لنا بأناسٍ علّمونا ألا نحِنّ، وألا نشتاق، وألا يزورنا طيفهم إلا عابسًا مكفهرًّا، يستحق الطرد بمكنسة الساحرة الشريرة.
- بعض الأمنيات وقتُها حين القطاف، فإذا ما جفَّ الثمر على عودها، ما يجديك سوى أن تسقي طيفَها ملح المدامع.. ثم تكفكف وجنتيك، وتتابع غيضها في رمس النسيان.
- قالت: يكفي أنك على الطريق لتحقيق الأمنيات، فلا تلتفتي متى كان البدء.. فقلت: عينٌ على الآتي، وعينٌ على ما مضى.. وضربة البداية لا تمتنع عن تذكيري بأنني - فعلًا - تأخرت.
- ليس وحده الغيم من يتفنن في إزعاج شمس الربيع وتعكير صفو السماء، والتشويش على الأرواح؛ كي لا تستمتع بالهدوء والدفء، هناك أيضًا أشخاص مهمتهم فعل ذلك.. وهم لا يألون جهدًا للنجاح في مهمتهم.

- لا شأن لهم باختيارك.. لكنهم رغم ذلك ينشئون محاكمهم، ويدونون دساتيرهم.. ولا يتوانون في نصب مقاصلهم ومشانقهم.
- سُئل سائق شاحنة عجوزٌ قضى عمره بين الطرقات وتعب السياقة ومخاطر الأسفار؛ عن سبب سلامته طيلة هاته المدة من الحوادث، فكان جوابه مذهلًا:

- "كنت - وما زلت - أعتبر السائقين حولي ممن يشاركونني استعمال الطريق، كلهم حمقى أو سكارى، وأنا الوحيد الصاحي السليم عقليًّا..."

ليتنا نستطيع تطبيق هذه القاعدة مع كلِّ من يشاركوننا عبور الحياة.. أو على الأقل مع أولئك الذين لا يفتأون يكدّرون صفو حياتنا، وينكهون سويعاتها بالمرارة.

- بعض الرسائل تصل أسرع مما نتصور.. أسرع مما لو بعثت على الحقيقة، ومما لو تكلف صاحبها بيانًا وتوضيحًا.. يكفينا - أحيانًا - قليلُ إصاخةٍ إلى حدسنا، وقليلُ ثقةٍ في فراستنا؛ لنفهم أن "نعم" تعني "لا" قولًا واحدًا.. وبأن مرحبًا تعني "سحقًا وبعدًا"، وبأن خلف الابتسامة شزرًا وزجرًا، ووجهًا عبوسًا قمطريرًا.
- بعض الأشياء لا يعْيِيك فهمُها بقدر ما يعْيِيك محاولةُ عدم فهمها.

- بعض الأسى يتحايل عليك؛ كي تندم على أن كنت جميلًا..
  لا تلم نفسك على جمالها، لُمها على مثاليتها المفرطة.. إن بقيتْ غارقة فيها.
- ما لم تُعلِّمه لي أمي: أن بعض من يتبسمون في وجهك، ويعبسون في حضورك للآخرين؛ يبسمون - أيضًا - لهم في حضورهم، ويعبسون لك في غيابك.. ويا ليت الأمرَ توقف عند العبوس.
- تقرر فجأة ألا تحاكم الماضي.. فيأبى هو إلا أن يفعل.
- وقد نخفق في الإصلاح؛ لأننا أسأنا اختيار الوسائل.. وقد نخفق؛ لأنه لم يعد هناك ما يمكن إصلاحه.
- أحكامنا الجاهزة تُفقدنا في كل الأحوال مَن حولنا، وتُنقص رصيدنا في مزيد أحباب: نظرة دونية أو أخرى تصنيفية ترمي بها الناس في هُوّة القَوْلبة والتنميط، أو رفع لسقف توقعاتك فيمن حولك لتُصْدم أنهم دون ما كنت تتصور، وأبعدُ بكثير عمّا أوحت لك لمحتك الخاطفة السطحية.. عدِّل إبرة الميزان وقَبْلها عدّل نظارتك.
- مأساتك الحقيقية عمقُك وشفافيتك، واضطرارك أن تتعامل مع السطحيين.
- وجع، أن نضطر إلى أن نلزم أنفسنا بعدم الاندهاش.. أن تتساوى عندنا ردود الأفعال، وأن نصبح مجرَّدين من الذهول

ومن الانبهار.. أن يصبح كل ما يقع حولنا من المتوقع، وأن يصير من كانوا سببًا في دهشنا؛ دهشة جميلة تحملنا إلى عهد الصفاء والنقاء، وتسْبُر بنا أغوارَ المعاني، وتعبر بنا مراقي الكمال، فننتشي أن ظفرنا بهم، وأن كنا لهم من الأتباع، أن يصيروا مفرغين من أسباب انبهارنا، محملين، وفقط.. محملين بأسباب خيبتنا.. وجع، ألا تعدو معاني الدهشة عندنا؛ أن تكون حيرة وخيبة وارتباكًا.

- وأعتى الجروح، تلك التي كلما ظننت أنها اندملت أبتْ إلا أن تنخُر من الأعماق.. وأعتى الآلام تلك التي لا تستطيع البوح بها لأحد.. حتى لنفسك.

- موجع: أن يراها تبكي؛ فيضحك.. والأكثر وجعًا: ألا تراه ضاحكًا؛ إلا إذا رآها تبكي.

- أراد أن يكتب شعرًا؛ فاختار بحر الطويل.. خانته القافية.. كتبها على البسيط؛ فكسر الوزن.. كتبها شعرًا حرًّا.. أحسّت حروفُه بالحرية فطارت.. توسّد دفتره، وكسر قلمه، وأغلق الشبابيك، ونام.. أصبح يخشى الحرية والقصائد والشبابيك المواربة.

- أحيانًا، وأنت تقف وقفة تأملية من أجل إعادة ترتيب الأوراق وتصحيح المسار؛ تجد نفسك عاجزًا عن تحديد موقع خطاك، ولا تدري هل حملتك الأحداث خطوتين إلى

الوراء من أجل خطوة حثيثة إلى الأمام، أم أنها زرعتك في نقطة البداية.

- ومع توالي الأيام، وتضافر الأحداث، وتكرار الخيبات، قد نستغني عن أشياء كنا نراها - من قبل - ضرورية، بل جوهرًا في اختياراتنا ولا ندري أهي القناعة أم الزهد.. أم عيف الحياة.
- ومتى كان للشر نهاية؟ ومتى أعلنت أرواحهم الخبيثة إقلاعَها عن جرمها، وظلمها، وتجبرها؟ هم لا ينتهون، وأفعالهم سلسلة أحقاد وحروب وتحديات.. وما لنا سوى أن نسأل الله الكافي أن يكفينا شرورهم بما شاء، وكيف شاء.
- كم هو صعب أن تجد نفسك قد قطعت الأشواط وحرقت المراحل؛ لكنك مضطرٌّ للرجوع إلى نقطة البداية.
- ترانا سنجد أنفسنا مضطرين للإقلاع عن المطالبة بحقوقنا!؟ فكل مطالبة هي وسيلة جديدة لكشفهم أمامنا، ومزيدِ إغراق لأنفسهم في النذالة، والخبث، والمكر، وفيما يغضب الله.
- كم نشقى ونحن نريد تفكيك ما لا يتجزأ، وكشف ما حاله التخفي.. نجهد أنفسنا ونجهدها فقط.
- بعض الاعتذار.. إغراق في المثالية.
- غرْسُها ليس كما غَرس غيرها.. حتى النبات لم يسلم من حنانها.. تسقيه بحب وترعاه بحب، وتنتظر - بشوقٍ -



الطلعَ، لكن كلما تشوّف زرعُها للسماء، وسمَقَت وريقاتُه تستكشف ما حولها؛ التهمتها العصافير.. تتقاذفها الحيرة، ويلجمها التردد: أتُحجم عن الغرس، وتكتفي بورود من لدائِنَ تزين بها كل المكان؟ أم أن تغرس وتستمتع بالزرع، وتدع الطلع لكل عابر؟

- ما لم أتعلمه في المدرسة: أن الأحلام والأوهام تلتقي في نقطة اشتباك القائم الأفقي بنظيره العمودي في زاوية قائمة على الخواطر.. وأنا التي كنت أظنها جولة، فإذا بها ربع دورة، وزاوية قوس.
- سألتني: كيف حالك؟ فقلت: حال من شيّد قصورًا من رمل، وأبراجًا من ثلج، وقعد ينتظر العاصفة، أو قطرة شمس لتنسف ما شيّد كي يعيد البناء.. وينتظر مرة أخرى عاصفة وشمسًا.
- الغموض: سحابة خريف رمادية، لا هي بالحُبلى فتنجب غيثًا، ولا بالشفافة؛ فتكشف الأشعة المحبوسة وراء حجبها الملتفة السميكة. الغموض: حلقة مفقودة في سمْط بهجة الحياة.
- ويوم صنعوا ورودًا من لدائنَ، كان علينا أن نعلم أن العبق لن يصبح له ثمن..

- إن تشابكت حروفنا فككناها، وإن تبعثرت رتبناها، وإن أبت إلا التخفي وراء السطور؛ فلنا اللهُ من قبلُ ومن بعد.
- ويا أيها الخذلان، من أعماق قلبي.. شكرًا بحجم السماء والشمس الغائبة من الفضاء الحاضرة على الدوام هنا حيث أنا في أعماقي.
- لم أكن أحاربك أنت، فما أنت سوى مشروع حياة أبي أن يُنجَز على الواقع، إنما كنت أحارب الموت البطيء في انتظار الذي لا يأتي."
- خطؤنا في تقييم بعض الأحداث حولنا قد يكون بسبب مثاليتنا المفرطة في رؤية الأشياء.
- كم من رواية تحتاج أبطالًا، وكم من أبطال يحتاجون رواية.. وكم من أولئك الذين طردهم النص؛ فصاروا عابري حياة.
- ما بين النومة والنومة أضغاث أحلام.
- هي الحقيقة إذًا؛ فاطْوِها أو مزِّقها، أو ارْمِ بها من شباك عمرك.. كنت "وطنًا" للخذلان، وستبقى عنوانًا للخذلان.
- "هو" الوطن و"هي" الوطن،

وكلاهما يطلب اللجوء السياسي.

- وراء كل امرأة حزينة رجلٌ يشعل فتائل الأوجاع، ووراء كل رجل كسير امرأةٌ تؤجج الألواع.

- الوجع يخلف أخاه.. كلُّ الفواصل وكل النقط وكل الأوراق الممزقة لم تفلح في وقف النزيف.
- فجأة تقرر أن تكون سعيدًا.. تلملم كل قصاصات الوجع؛ كي تمزقها.. تحرقها.. تنثرها وراءك.. تحدّق فيها في محاولة لإلقاء نظرة الوداع على حروفها الموجعة بإتقان.. تحاصرك الفواصل، وينقض عليك ما وراء السطور.. تحاول الفكاك، لكنك تعلق في شباكها.. ترجئ قرارك.. ليس بعد.. فلتنتظر السعادة، ولينتظر قرارك.. ثمة جراح لا يمكن أن تَخِيطَها قبل أن تنظف.
- وأكثر الدموع التهابًا وإلهابًا، تلك التي تذرفها الشرايين، وينزف بها القلب المُتفصِّد المُتْرع بالخيبات، المثخن بشظايا النفوس المكسورة والألسنة الحداد.
- أيمكن للأوجاع أن تتوقف عند النقطة أو عند الفاصلة أو عند الرجوع للسطر، أو عندما نمزّق كل الصفحة، ونستأنف من جديد؟
- مؤلم، أن ترى يوم العيد دمعة طفل يتيم متكومة في محْجَريه.. تحوم عيناه المتعبتان بحثًا فيمن حوله عن الأمان والحنان، فلا يستطعم - في غياب والده - لمسة لامس، ولا يستلذ بكفٍّ حانية قد أخذت على نفسها تعويضَه فراقًا ليس لعقله الصغير

ولا لقلبه البريء أن يفهم منه معاني الأقدار.. وأكثر من ذاك إيلامًا، دموع طفلٍ أبَى والده إلا أن يسرق بسمتَه، وأن يجعل بشاشته وبهجته - بالعيد - تغيض في لُجج خذلانه، وتتمرغ في أتربة حقيقته الاستبدادية المَنّانة: إن أراد - جودًا وكرمًا وتفضّلًا - أن يلعب دور الأبوة، وأن يحفظ للطفولة معاني البراءة، وللعيد معاني الفرح.. وإلا فلا شيء سيرغمه مادام كلُّ فعله معه محْضُ تفضلٍ، وتكرم، وخيرية غير ملزمة.

- بعض النكبات تصَيّرك كبيت شعر مشطور.. كوزنٍ مكسور.. كالإيطاء في القافية.. كسطر مقتطع من رواية.
- ما أكثر ما نُلدغ من جحورهم، وما أكثر ما نعود.. هم لا يُقدّرون، ونحن نكتوي بنيران خذلانهم.
- فرق بين أن تقابل الأزمات والألم لأول مرة، وبين أن تتكرر عندك نفسُ الرواية ونفس سطور الخيبة والخذلان.. وكأن الألم يهيئنا للآلام، وكأن الجرح يصنع لنا مَصلًا ضد الجراح.. كم في ذلك من ألطاف لا يستشعرها إلا من علم أنها سنة الحياة، كبَدٌ ونصَب، ودنيا الأكباد المقروحة.
- قاصمة..

أكبر القذائف التي يمكن أن تتلقاها، ليس أن يظنّ بك خصمُك السوءَ، فذاك الظن فيه، ولكن أن يصدِّق صديقُك ما ظنه فيك خصمُك.

- موجعةٌ مفترقات الطرق تلك التي لا تؤدي إلى مملكة الشمس.
- تمدهم باللقمة بيديك، وينثرون القذى في عينيك.. تصبر.. ويتجبرون.. وتُمرر.. ويأبون إلا أن يذكِّروك.
- منتهى السذاجة والعَتَه، أن نُمضي ما تبقى من عمرنا في انتظار نقطة تكون كفيلة بتحويل المسار، ومعجزةٍ تحول قلوبهم "المُسَفْلَتة " إلى مروج ورد.. وأن نتوقع من الغرقد والعَوْسج أن يُثمر لنا تفاحًا.
- بعض الجولات في الحياة نصرُّ على أن نخسرها، ليس لانعدام الحيلة والقوة والبسالة للدفاع عنها.. ولكن فقط؛ لأنها لا تستحق.
- وردٌ قد نبت في بقايا أتربة خطى المارة، وسقته دموع الرابضين فوق إسفلت أرصفة الأوجاع، فحبس شذاه في جذره، واحتفظ لنفسه بطقوس العبير.
- وهل ما يشيخ في أعماقنا يعود طفلًا!؟
- وظن أنه البطل والنص وفصول الرواية، فإذا به قصاصة منسية في ثنايا كتاب.
- من لي بعصا موسى، أو بخاتم سليمان.. أو بالذي يأتيك بعرش الحقيقة قبل أن يرتد إليك الطرف.. أو بحجب مكشوفة عنك أيتها النفس المصلوبة على مقصلة الغموض

والتخفي! من لي - فقط - ببردٍ وسلام لنار الحيرة، ولظى التيه، ولهيب الارتباك.. رحماك يا الله.

- لن يبقى في قاموس انفعلاتنا شيء اسمه "اندهاش" ولا "استغراب".. بل شارفت الأحداث من حولنا على أن تكون تطعيمًا يكسبنا مقاومةً ضد هذه المعاني.. فهل سنرى أكثر مما رأينا!؟ وهل سنسمع أفدح مما سمعنا؟ فكلُّ حدث جديد إنما هو كوجهٍ من وجوه زهر النرد، وجهٌ بنقطة، وآخر بنقطتين، وآخر بست نقط. وفي الأخير، تجتمع كلها لتسمى نردًا.
- وحينما تصبح الأخوة حروفَ ألم منتثرة، وقصاصات مركونة في زوايا دفتر أو في شعب الشريان.. مجرد مشاعر ألم وآهات، ورثاء لسقوط مملكة قد شُيّدت يومًا على ضفاف المحبة، فأبى فيها الصدق والوفاء إلا أن يرحل؛ فترحل معه قلوب لم تعد تترقب بدرًا لليلتها الظلماء.
- يتهمون الضمير بالموت، والعقل بالعطل.. هذا لو كان هناك ضمير وعقل أصلا.
- بعض الخيبة تفقدك الثقة فيمن حولك، وبعضها تفقدك الثقة في نفسك، وبعضها شعور بعبور الخواء، وبتخطي حدود الزمان والمكان، وبالاستغراق في اللحظة الآنية مفرغًا من

كل الأحاسيس ومن كل المشاعر سوى من الدهشة المفرغة من معاني الدهشة.

- من استعجل القِطاف؛ مُنِيَ بعقم الشجر.
- قد نقع، ونقع، ونُنْكب من نفس الخيبة مرات.. ليس لأننا لم نستوعب الدرس، ولا لأننا لم نأخذ احتياطاتنا الكافية، بل لأن ملابساتها قبل أن تكون خيبة، متخفية تمامًا عنا وإن ضربنا لها ألف حساب، ولا يمكننا التنبؤ بها بحال، ولا نعلم عنها بأنها خيبة مكرورة إلا بعد وقوعها.. المقدر نافذٌ، وما لنا منه من هروب..

وما منع حذرٌ من قدر.

- بعض الخذلان قد يكون انخداعًا بالله فننخدع، أو قد نُستغفل، أو قد لا نتحرز بسوء الظن في الناس، أو قد تأتينا الخيبة متلبسة بشكل جديد متخفٍّ.
- الأشياء التي تأتيك في هيئة حلم.. تأبى إلا أن تبقى حلما.
- وجع.. أن تنظر إلى المرآة.. تحدق فيها مليًّا، وتبتسم أن التقَيْت بك.. تصدق أنك - فعلًا - قد التقيت بك بعد طول هجرٍ ونوى.. تنتشي باللقاء.. وتمني نفسك بالأحلام.. تنظر حولك فجأة.. فإذا أنت بلا قناع.. ومركبك بلا شراع.. وكل السراب الذي حولك يذكرك أن تلبس نظارتين قبل أن تتجرأ وتنظر إليك مرة أخرى.

- وأعتى الآلام أن تعاشرهم، ثم تفارقهم فتدخل وتخرج كما دخلت، دون أن يكلفوا أنفسهم عبء معرفتك.. تدخل مجهولًا، وتقيم مجهولًا، وترحل غائضًا في لجج الإبهام.. كذلك الجندي الذي أبلى بلاءه في معركة، ثم قُتل ليكتب على قبره: "جندي مجهول".
- وحتى الاعتذار يتحفظون عليه، وكأنك مضطر لتجرُّع حماقاتهم واختيار اعتذارك بنفسك لنفسك.. أو إن أردت، أن تتجرع وفقط تتجرع، وأن تسامح أفعالهم، وأن تتجاوز بسماحةِ نفسٍ عن عدم اعتذارهم.. حتى الاعتذار، ليس لك حق فيه!.
- يطالبونك ألا تخيط الجرح قبل أن تنظفه.. يتقنون صنع الجرح، ويمنعون الأيدي من التنظيف.
- وأعتى السجون، كلمة تحبس في سراديب صوتك الذي أبكمه الوجع، فلا هي بقادرة على القبول بالمتاح والعيش في دهاليز الصمت الموجع، ولا هي بقادرة على ترصيص حروفها التي عاث فيها السوس، كي تستنفر كل الآلام الراقدة والجروح النائمة - دفعة واحدة - تغتسل من أدرانها بكل الحروف المستعلية والمستفلة، والرخوة والشديدة.. فتدغم بعضها ومعها بضع نكبات، وتخفي بعضها ومعها

بضع ندوبٍ، ولا تجهر إلا بذلك الوجع الذي طال تخفيه.. فأبت آثاره إلا الوشاية به.

- بعض الدهشة تأتينا على شكل مزاح.. مزاح سمِج ثقيل.. كذلك الذي يقع حينما يسعون إلى إنجاح برنامج فكاهي لهم على حسابك، ويكتفون بأن يقولوا لك في آخر الحلقة: شكرًا، لقد شاركت معنا في "الكاميرا الخفية"
- ملامح طفولية وقلب عجوز بتجاعيد.
- سجن، ذلك الضعف الذي تطالعه في نفسك في مواجهة قهر يلحقك ممن يستهدفون نسفَك، ولا سبيل للفِكَاك عنه ما دام حيْفُهم محكمًا، وتسلطُهم متجددًا بتجدد الدماء في عروقهم، فلا فرصة لك في نسيان مواقفهم المشينة وردود أفعالهم المستهجنة، ما دامت لهم القدرة على البراعة والكفاءة والتفوق في تجديد، بل وابتكار فنون الظلم والخذلان. وأعتى السجون، ذلك الحيف الذي يلحق ذرية ضعافًا ولاَّك الله أمرهم.. إحساس عميق متجذر في شعب الضعف المكرور، وقلة الحيلة المضاعفة، والجناح المهيض، فتراك تصارع نفسك الأمارة، وتنازل غضبك كي لا تقابل الإساءة بالإساءة، والظلم بالحيف، وأنت قادرٌ على فعل ذلك، غير مستطيع لخشية مَن حرَّمَ الظلم على نفسه، وجعله بين

عباده محرَّمًا.. فتستمد قوتك - بعد الضراعة لله واستمداد العون منه سبحانه - من حبس النفس والسيطرة على أزمّة الغضب، وتتجلد وأنت تتذكر أن للظالم يومًا لن يخلفه، ووعيدًا لن يُفلت منه، وبأن لك يومًا ستكون فيه أمَسّ ما تكون فيه حاجة إلى حسنة باردة تنضاف إلى ميزانك.. فترتاح نفسك لعدل العادل سبحانه، وتشكره على نعمة الحلم والصبر، وعلى نعمة البصيرة، وعلى نعمة التوفيق لكبح جماح الغضب، وتسليم الأمر له سبحانه.

- وأعتى السجون، أن تكون محاطًا بالناس فلا تجدك إلا وحدك.
- وبعض الناس ممن أثخونك خيبةً تتمنى لهم الخير والسعادة، وتحقيقَ كلِّ ما يتمنونه، من منطلق إنسانيتك.. لكن.. فليكن ذلك في مبعد عنك.
- وأحيانًا نحجم عن إنشاء علاقات جديدة، ونُصِرُّ على الاكتفاء بمعارفنا وأصدقائنا، بل وغربلتهم، والاحتفاظ - فقط - بمن يوافقوننا، ويشاركوننا - بصدق - أفراحنا وأتراحنا، ومَن صداقتهم وأُخُوَّتُهم مكسبٌ لنا، وقيمة إضافية نفخر بها.. ليس بدافع التعالي، ولا بدافع الاستكفاء، ولا حتى بدافع الأنانية وحب الذات، إنما لأننا شربنا حتى

الثمالة من الخيبات، وسئمنا من تجرع الحماقات، ومن تقبُّل خذلانهم، وتحمُّل نكرانهم.. لم يعد في الخاطر خاطرٌ لمزيد تحمل وتنازلات.

- وأعتى السجون أن تكون ممن يعيشون الحياة بكل لحظاتها، وبكل تفاصيلها الصغيرة، وتضطر لأن تصاحب من يعيشون على هامش الحياة
- منتهى الإرهاب أن يفرّغ الأب (أو الأم) فقدانه ثقته في نفسه وانخفاض تقديره لذاته؛ في أولاده.. ليحطم فيهم ذاك الذي عجز هو أن يلمّ شعث ما تشابك فيه، وأرهقته دونيته، وسطحيته، واهتزاز شخصيته أن يظهر بما ينبغي أن يكون عليه.
- أيها المتسلقون، التافهون، العابثون بذرى المجد، الرامون للوصول ولو كذبًا وزورًا وانتهازًا.. أدراج السلم تُصعد درجًا درجًا؛ ومن رام القفز واستباق الأدراج.. وقع..
- ولأن طبعهم الخداع والبهتان والزور؛ فإنهم يرون في كل حركة.. وفي كل سكنة ممن حولهم مؤامرة وتحايلا.
- ما لم تعلمه لي أمي.. أن بعض المذؤوبين لا ينتظرون حلول منتصف الليالي المقمرة كي يبدأوا رحلتهم في اقتناص الضحايا، قد يظهرون صباحًا ومساءً، وعند الزوال، ولا

يهمهم بحال اكتمال القمر، أو بقاؤه كالعرجون القديم، ولا يرغمهم شروق الشمس على استعادة ذاكرتهم البشرية.

- من كان الصدق في قلبه دخيلًا، فلن يتورع من أن يكذب عليك كلما واتته الفرصة.
- عندك بناتك؛ فاخْشَ على بنات الناس.. واحذر من أن يكون قصاصك من عقر دارك.. واحترس ممن كان وليها الله.
- وما نفعتنا مدنيتنا إن كنا لا نفرق بعد بين القلوب وبين الصخرة الصلداء التي لا نفاذ إليها؟
- أحيانًا، بعض تخطيطاتهم ليست وليدة ذكاء ولا عبقرية، إنما هو عون الشيطان لهم حتى إنهم ليندهشون أن يخرج كيدهم بهذا المستوى من الإتقان.
- أي أُخيَّة،

حذار من ذئاب قد تدثرت بمسمى إنسان.. سيكتب فيك كل القصائد وسيروي لك كل الحكايا، وسيبكي بين يديك.. سيوهمك أنكِ وطنُه وملاذه ومنقذته من حياة الضنك التي يعيشها مع زوجته.. وستنتشين وهو يخبرك أنك ملهمته، ومن فَجَّر في صدره معاني الشوق والحنين.. سيرفعك فوق السحاب، وسيسميك ملاكه الرقيق، وسينثر قلبه ودمه حرفًا يتلوه عليك.. حتى إذا ما انتهى رصيده في البوح، وجفّ

حبره وأرهقه السهر؛ جادَ عليك بباقة وردٍ، وسلسلة قلوبٍ، ثم هُرِع إلى زوجته يبحث عن الطهر في عينيها، وعن العفاف في بسمتها، وعن الأنس معها وبين أطفاله.

- هي ذي دنياهم وذلك كل مبلغهم من الحياة، يحسبونها بالأرقام، ويضيعون في حساب ما كان وما هو كائن، وفيما سيكون، وكيف يكون.. لا يضعون أقلامهم عن "عواتقهم"، ويحسبهم الجاهل "تِرابًا خفاف الحال صعاليك" من شدة حرصهم ألا يفوتهم الفلس الأزرق.. جمعوا بين الحرص والمن والأذى، وضاعت معاني الإنسانية الدقيقة والقوامة الرشيدة في تبلّد باحةِ شعورهم الخامدة.
- أن تمنعهم حقهم يعني أن ذاك ليس من رزقهم.. عليهم بالرضا والثقة في حكمة المعطي المانع فيما منع.. وعليك وزر الظلم والتحايل، وسلبهم حق الله قبل أن يكون حقهم.
- قاطع حديثك، فقسم جملتك إلى كلمات وكلماتك إلى حروف، وقطع سيل أفكارك، وضحك واستهزأ، وسفَّه حلمك وألحقك بالرعاع والسفهاء والحمقى وأنت تحاوره.. فلما قاطعته لوهلة؛ تُراجِعه فيما يقول، أرغى وأزبد، وأرعد وأبرد، واحمر وانتفخت أوداجه، وصاح: "ليس هذا من أدب الحوار".

- بعض الناس قد أفسدوا عليك دنياك، فاحذر أن يضيعوا عليك آخرتك.
- دورة الحياة.. لولا وجود الجرذان وأمثالها؛ لما عاشت الأفاعي.
- لا أثقل على القلب من أناس تضطر معهم لأن تصرخ، وتقول: "هذا أنا" تعلمهم بوجودك، وإن كان وجودك ليس مما لا يُنتبه له.. أو أن تضطر معهم لأن تصيح: "لست أنا ذاك الذي تظنون"، لكنهم يصمون آذانهم عن نحيبك، ويُعمون الأبصار عن رؤية من تكون، ولا يرون فيك إلا ما تمليه عليهم رؤية نفوسهم المكسورة وذواتهم المهزومة أمام المرآة.
- بعض الناس يحسبون حسن الخُلق تفضلًا على الناس، وبعضهم يحسبونه فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر.
- من كانت الخسة مبلغ أخلاقه، والنذالة منتهى مبادئه؛ فلن تستطيع إلزامَه بغير ما هو عليه.. وكل محاولة لمطالبته بما يجب أن يكون عليه؛ إنما هي إبحارة ضد التيار، وتذكير لنفسك بمواقف سابقة شبيهة.. بحثت فيها - هباءً - عن قطرة إنسانية وعن جرعة حضور في مواقف لا تقبل إلا بالرحمة وبالحضور؛ فطال بحثك.

- يتحدثون، ويتحدثون، ويتحدثون.. فإذا تحدثت أنت أنصتوا لما يحبون، وألغوا ما لا يحبون، واقتطعوا من كلامك، وقطعوا عباراتك كلماتٍ وحروفًا، وجعلوا منها سلاحهم للهجوم عليك.
- "أعلم أنك ستؤاخذني بتحليلاتي الساذجة، وستلزمني بقولي، وستسفه حلمي؛ لأن كلامي مبني على أساس واهٍ، بل من غير أساس أصلًا، لكنني سألقمك طعمَ تمييع المفاهيم، وسأجعلك تقبل بفلسفتي العمياء بأن أعترف لك منذ البداية بأنها فلسفة السذج، وبأن منطلقاتي مما لا يجب أن يعتمد عليه في التحليل، وبأنني - رغم ذلك - سأعتمدها، وسأمرر لك سُمّي في عسل المزاح، وفي استعمال الكلمات الرنانة، وبالعزف على أوتارك الحساسة كإسلامي، وبتنميق الكلام وتزويقه وترصيع هامته ببعض المصطلحات والقواعد الفقهية وعلم النفس.. وستقبل أنت راغمًا، ولربما مختارًا، وستعفيني من كثير إقناع.." لسان حال بعض من يروجون لباطلهم
- النفوس المكسورة والأرواح الخبيثة ميزانها في الحكم على ردود أفعال من حولها مكرها وخبثها، فلا تستطيع الرؤية أبعد من حدود زاويتها المشبعة بالخسة، وباحة بصرها المغرقة في الكيد والنذالة.

- فيا من دخلت جنة شهرتك، والتفاف الناس حولك، وانتشيت بعذب منطقك، وحلو بيانك.. وغرَّك التصفيق، وظننت أن سمعتك لن تبيد أبدًا، وأنك إذا ما رجعت إلى ربك لتجدن خيرًا من ذلك منقلبًا؛ فاحذر حُسبانًا من السماء يكشف عنك الستر، ويصيّرك أحاديث، ويخرس لسانك الذي يجرّئك على الاستمرار، ويجعل إخلاصك ونيتَك غَورًا؛ فلا تستطيع له طلبًا، فتقلب يديك على ما أنفقت لأجلها، وتقول يا ليتني أخلصتها لربي. قد كنت أدعوهم لنفسي وأعرفهم بي، وأوهمهم أنني أعرفهم به وأدعو إليه.
- كن ذلك الذي قررت يومًا أن تكونه.. لن أضطرك إلى التبرير، ولن تضطرني إلى رؤيتك خلاف ما أراك عليه بل ما أنت حقيقة عليه، فحقيقتك - وإن تخفَّت أحيانًا وتلوَّنت - لا تعدو أن تكون سوى أعماقك المائجة بالضغائن والأحقاد، عبثًا تخفيها حينما تروم إخفاءها، ويأبى لسانك إلا أن يغرف من سويداء قلبك المِرْباد المجخي المنكّس عن بذرة الخير.
- قد تردّى من جبل النخوة والفضيلة، وعبثه سمٌّ في يده يتحساه، ودمعتك يا مظلوم، حديدة في يده، ومشاقص يتوجأ بها ما تجدد الظلم في عروقه، وما غاضت الإنسانية في رمال جهالته وغفلته وسفاهته.

- وكيف لك ألا تصدق وتثق فيمن يغلظ الأيمان، ويبرأ من ذمة الله ورسوله قسمًا على صدقه، وصحة ما يقول!؟ إذا ما خدعونا بالله، أفلا ننخدع لهم!؟
- استقالة بعض الناس أحيانًا تأتي كفعل احتياطي قبل أن يتم طردهم.. تمامًا كما بعروض السيرك أو التهريج، حينما يعجز العارض عن تسلق الحبال بخفة ورشاقة؛ فيضطر إلى الاستقالة خوفًا من أن يكتفوا بتحميله مساعدة العارضين على جمع أغراضهم بعد كل عرض.. ما الضير في أن يفعل ذلك كلُّ من أحسَّ أن دوره في الكوميديا الصفراء قد انتهى، فينسحب بكرامة وعزة نفس، وينقذ ما تبقى له من ماء وجهٍ، قبل أن يُطرد شرَّ طردة، وقبل أن يتنبه إلى انتكاسته كلُّ من حوله، وكلُّ من لا يزالون يصدقون أنه مازال رائد الخشبة والعروض المدهشة.. أن ينسحب في صمت أفضل له مليون مرة من أن يعامل معاملة الأسد الذي كان يتحف المتفرجين بقفزه بين الحلقات، فلما شاخ؛ أودعوه قفص حديقة الحيوانات، وليس عليه من أجل إسعاد وإتحاف الأطفال الزائرين سوى أن يتمطى من وقت لوقت، وأن يملأ - ولو مرة واحدة باليوم - أرجاء الحديقة بزأرة يتيمة.

- أغلب مَن على الخشبة يركنون لاهتمام فئة من الناس بعروضهم، وينتشون بتصفيقهم، ويستهويهم البقاء حتى ولو علموا بأن دورهم قد انتهى، أو أن أولئك الاطفال الذين كانوا ينبهرون بخفتهم، وينخدعون بمهاراتهم قد كبروا وصاروا يفهمون خدعهم.
- ما لم أتعلمه في المدرسة: كم من فاعلٍ طال تسيّده، وحسب نفسه جوهر الجملة، واختال لكونه مرفوعًا، ونسي أن من كان عالة على رفع غيره له، لن تطول رفعته.. وكم من مضافٍ حسب نفسه مهمًّا وعمدة، باعتبار ألا قيمة لمن يضاف إليه إلا بوجوده، فإذا به فَضلة.. وكم من مضاف إليه ملَّ من استكبار المضاف عليه؛ فكسر سلاسل الخنوع وقيود التبعية، ففضل أن يُجر بحرف جر على أن يبقى تابعًا لمن يختال عليه.. وكم من حروف ظننا أنها تجرُّنا، لكن تبيّن أن لجرِّها مدة صلاحية انتهت بكشف القناع وإسفار المستور.. وكم من أضداد صارت مرادفات، واتحدت حينما رأت المصلحة المشتركة ونسيت مبادئها، وأنها كانت – يومًا – خصمًا لمن ائتلفت اليوم معهم.
- نبتة لم تجد لها على الخير أعوانًا؛ فخرج شطؤها أخرقًا.
- وهذا الفاجر قد شحذ السنان وملأ الدواة حبرًا، وجعل دواوينه تعبق حرفًا.. وتجرأ على النصيحة والفتيا، ودلالة

العباد على رب العباد.. قد ذل له بيانه، وخدمه التفاف السذج المحبين حوله، وجعل من ذكائه ودهائه مطية لقلوب الناس. جَلَد وقوة شكيمة ونبوغ فكرة.. فسرق الأضواء ومعها الأرواح، ونسي أن الستير قد يفضح، وأن الغفار إنما يغفر لمن كسره الذنب.. وعاد تائبًا آيبًا خائفًا من العود ومن عدم قبول توبته، لا لمن أخذته العزة بالإثم، وجعل لسانه الحاجز بين عيوبه وعيون من رأوا الإبداع في الفكرة والجرأة في الطرح والتميز في الأداء؛ فظنُّوه إخلاصًا وصدقًا.

- فقط، لا تكن أنت الشر المتربص، والضلال المتخفي الذي يحرص على أن يفتن من حوله عن دينهم.. ولنا من الشرور الأخرى الظاهرة ربٌّ يكفينها، ويحمينا منها، ويعصم.
- احذر أن تكون ممن له تأثير على من حوله، فزهَّد الناس في الأمل وفي رجائهم في ربهم، أو ممّن فتحوا لهم أبواب الحياة على مصراعيها يركضون فيها ركض الذئاب.. واحذر أكثر أن تكون أفعالك وأقوالك سببًا في جعلهم يكرهون دينهم، أو يفقدون الثقة في رجالاته.
- لم يستغربون إذا ما نظروا في المرآة فرأوْا جسدًا معلقًا في رأس ذئب؟ فليمسحوا الدم المتقاطر من قواطعهم، وليسعدوا أن مازالت الدنيا مليئة بالفرائس.

- قد تُعذر إن كنت لا تستطيع أن تعينهم.. لكن لا تُعنِ الشيطان عليهم.
- من الناس من يتحرى إيذاءك ويتفنن في إيلامك، فإن أنت شكوت أو عتبت؛ اتهمك بالحساسية المفرطة، حجتُه في ذلك معرفته القديمة برقتك وطبعك المسالم، ورصيد سابق من صفاء قلبك وعدم ردّك بالمثل. وعوَّض أن يعتذر ويعترف بخطئه، يزيد باتهامه قلبك حسرة وكمدًا.. وكأنه بخبث مقاله سيغطي عن سوء فعاله، وكأن براءتك وحسنَ طويَّتك تعطيه الحق في أن يؤذيك، وتمنع عنك حق التظلم والتشكي.
- لكل زلة لهم عنها أعذار وأعذار.. شعارهم في ذلك: "خذوهم على قدر عقولهم"..

ولأنهم يعلمون تلك المساحة الشاسعة في قلوبنا، والتي تتسع لكل زلاتهم، وتقبل كل أعذارهم؛ استمرءوا الزلة، وأعقبوها بالاعتذار حتى صارا متلازمين..

ولم لا! وهم يعلمون أن قلوبنا الكبيرة لا يسعها إلا أن تسامحهم

حتى إننا بتنا ننتظر بفارغ الصبر.. كيف ستكون الزلة التالية للمتلازمين (زلة واعتذار).

- تبريراتهم المتواترة دون أن يُكلفوا التبرير، ومحاولاتهم المتتالية لإقناعنا بسلامة سريرتهم دون أن يُطلب منهم ذلك؛ أكبر دليل على تورّطهم فيما يحاولون دفعه عنهم.
- يا من يبحث عن أرقى العطور، ويتخير أزكى البخور،
هلَّا بحثت عن عطر يبدد رائحة ذنوبك النتنة!؟
- كل يوم بتبرير جديد، وبعض التبريرات محاولةٌ في أن يمضوا فيما هم عليه.. لكن بضمير مستريح.. وكل ساعة ببيان يبرر التبرير، وآخر يوضح ما لا يحتاج إلى توضيح، وآخر لإقناعنا أن نرى بأعينهم ما لا يُرى، أو ما يزعمون أنهم يرونه.
- عفوًا، لملموا شظايا نفوسكم المكسورة، فقد آذتني وأثخنتني بالجراح.
- تتمزق شفقةً عليهم، يعتصر قلبك لأجلهم، وأنت ترى نوائب الأيام تتخطفهم، تخشى عليهم أن تلتهمهم الوحوش حولهم.. يهجر النوم مقلتيك، يتفصّد الفؤاد وما تجد لهم من حيلة.. تغمض عينيك وأنت تتكسر دعاءً لهم.. تفتحهما على أنيابهم ومخالبهم.. يتهيأون للفتك بك.
- يسلبونك نصيبك الذي هو حق لك، لا لشيء إلا ليشغلوك بالمطالبة الدائمة به، والتشوّف المستمر للحصول عليه؛ عن التطلع إلى الفضل.. فإن أنت انتفضت وطالبتهم به، ورأوْا

استماتتك؛ عادوا ليساوموك من أجل إرجاعه، على المزيد من التنازلات.

- حينما تصبح الابتسامة دلالةً على الكذب، والضحكُ رمزًا لاهتزاز الشخصية.. تلك الابتسامة الصفراء المستفزة والقهقهة المهَيِّجة المثيرة للخنق، والتي يختم بها عادة السياسي الفاشل خطابه أو تحليله أو حواره، هي - في حقيقة الأمر - علامة واضحة على كذبه وافترائه، واهتزاز شخصيته واهتراء طرحه ورعونة أدائه، قبل أن تكون وسيلته لإقناع نفسه بتمرير خطابه بحنكة للمتلقي، وباستغفاله أو باستفزازه.. وهي نفسها تلك الضحكة التي يتقنها بعض من حولك في مواجهتك كلما أحس بنفسه محاصَرًا بصدقك، وبأحقية كلامك، وقوة أدلتك، وثباتك على موقفك، مقابل فراغ يده من كلمة واحدة مقنعة أو حجة واحدة مُفحِمة، فيعوض نقصه بالسخرية، وترنحه بالاستفزاز.
- بعضُ الناس لا يفهم معنى أن تكون مخالفًا له، دون أن تثبت العداوة بينكما. لا يفهمها إلا من خلال: "أنت لست صديقي، إذًا أنت عدوّي" لسان حاله: ليس هناك منزلة بين الجنة والنار.. وينسى أن على الطريق بينهما، أعراف؛ ينتظر أهلُها أن يقضي الله فيهم بحكمه.

- قد يكون ما أنت فيه من ضنك؛ استمراءك الذنب، واستطابتك ستر الله عليك دون أن تستعجل التوبة والرجوع.. وما أدراك لربما انضافت إليها دعوة مستغفل مظلوم قد ملأ نشيجه ما بين السماء والأرض وأغرقت دموعه الفؤادَ المتفصّد.. قد نمت هانئًا مرتاح الضمير والبال، وتوقَّدت عينا المظلوم.. تطارد النجوم، وتبث شكواها للمنتقم الذي عينه لا تنام.
- وكم من موقف يهتف بك: "اصمت.. فإنك كلما تكلمت؛ زدت إغراقًا لنفسك، وأُثبتت عليك الحجج."
- وقد يفضح الله سريرتك كي ترعوي، وتئوب إليه أوبة الضعفاء المنكسرين المعترفين بالذنب والتقصير، فإن كان من عذر فَلَهُ سبحانه، وإن كان من تبرير فلِمَن يعلم السر وأخفى.. دع عنك مَن حولك، واترك إقناعهم بسلامة طويتك، وحسن مقصدك، فلن يُقبَروا معك، ولن يُبعثوا وازِرينَ أثقالك، ولن يغنيك إقناعهم عن الحجة أمام الله.
- التقط أنفاسك، والتقط معها حطام المرآة الملقاة قرب قدميك؛ لعلك تصنع من شظاياها تلك الصورة التي تشبهك.. لم تكذب المرايا يومًا أو تخُن.
- أولئك الماكثون في جبهات القتال حربهم معلنة، واضحون وضوح شظايا قنابلهم.. وقد يُشَرَّفون ويسمون مجاهدين

أشاوسَ محرِّرين.. أما أولئك القابعون تحت السُّقف، المسمون شركاء وأزواجًا، فما يعلم بحروبهم الباردة إلا المتشظي بصقيع سمومهم.. "قاتل الجسد مأخوذ بذنبه، وقاتل الروح لا يعلم به بشر".

- ما لم تعلمه لي أمي: أن النفوس المكسورة والأرواح الخبيثة، ميزانها في الحكم على ردود أفعال من حولها؛ مكرُها وخبثُها، فلا تستطيع الرؤية أبعدَ من حدود زاويتها المشبعة بالخسّة، وباحة بصرها المغرقة في الكيد والنذالة.. تشهر سلاحها في وجه كل من خالفها، وتُمضي وقتها في تحدي السراب، وتفني عمرها في محاربة طواحين الهواء في محاولات يائسة للانتصار بأي وجه، وبأي ثمن.. قد سبقك إلى ذلك الدون كيشوت، فلم يجْنِ على نفسه سوى المضرة والهلاك.

- ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ (إبراهيم، 43:42). هكذا يبدو الأمر مؤلمًا لأول وهلة، وأنت ترى الظالم يتنعم بحياته ويستمتع بأكله ونومه وعشيرته، ويصول ويجول، والمظلوم قد جافاه النوم، وتفتّتت كبدُه وعافت نفسه الحياة.. تعلم أن وعد الله صادق، وأن الظالم

لابد مُلاق حسابه، لكنك لا ترى في الواقع أثر عقاب أو انتقام.. فيا أيها الظالم، لو بك من بصيرة وحكمة؛ فاسأل الله العفو، ورُدَّ لكل ذي مظلمة حقه، أو إن كان ولا بد من انتقام؛ فاسأله أن يكون في الدنيا.. ويا أيها المظلوم، لا تبتئس؛ فإنما موعده اليوم الآخر حيث لا إمهال ولا تأجيل.. في يوم عصيب ذي أهوال ترى الأبصار فيه شاخصة من الفزع والهلع والرهبة، يأخذها الهول فلا ترى منها رمشة ولا ارتداد طرف.. مسرعي الخطى، مطأطئي الرءوس من الذل، لا يلتفتون حولهم.. وقلوبهم معلقة فارغة خاوية هواء.. اللهم مظلومًا ولا ظالمًا.. والعافية أوسع لنا.

- لو ما كان من ظلمهم وعتُوّهم، إلا أن جعلوك تجْأرُ إلى الله بالدعاء، وتنكسر بين يديه سبحانه، وتُظهر فقرك وفاقتك؛ لكان ذلك كافيًا؛ لتشكرهم، وتكافئهم على حسن ما صنعوا بك.

- لحق بي - يومًا - ظلمٌ كاد قلبي بسببه ينفطر، فطفقت أشكو إلى العدل سبحانه بثي وموجدتي، أعزي نفسي بعدله سبحانه، وأسلّيها بأن مظلمتي سآخذها - حتمًا - بين يديه تعالى، وأن ظالمي لا بد واقف أمامي يوم الميزان، ولزامٌ عليه ردُّ حقي من حسناته يوم لا درهم ولا دينار.. لكنني سرعان ما تذكرت هولَ

الموقف والاضطرار لطول الوقوف بسبب ظلم.. لولا مِنَّة الله علي لكنت أنا المتلبسة به.. فبصرت بإرغام نفسي على العفو، وبإلزامها بالسماح.. لسان حالي ومقالي: اللهم سلّم.. سلّم.

- قالت في انتحابٍ: ظلموني.

فقلت لها: لا تبتئسي؛ فلعلها من ذنب أبَى الله إلا أن يمحوه عنك.

قالت: عزّت عليّ نفسي حين شتموني.

فقلت لها: لا تحزني، شتيمتهم فرصة لإعادة ترتيب كرامتك.

قالت: لكنهم طردوني.

فمسحْتُ دمعةً قد تلألأت في مِجريها، وقلت:

"لئن طردوك من ديارهم؛ فلم يطردوك من رحمة الله".

- يا ظالمي، أنت ذنبي المسلَّط علي ابتلاءً وتمحيصًا؛

فانظر مَن أنا بالنسبة لك حين ظلمتني..

اللهم مظلومًا لا ظالمًا.. (والعافية أوسع لنا).

- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

ماذا كان يضيرك لو أعلنتها كلمةَ عدلٍ تجدها في صحيفتك يوم القيامة؟



ماذا لو كنت تجرَّدت من أنانيتك، وقهرت هوى نفسك، وصدحت بها في الآفاق، شهادة تبرأ بها إلى الله، تؤدي زكاتها صدقًا وصدحًا بالحق؟

فوا أسفا على من أخلد إلى بواطن الأمارة بالسوء، تخرج أضغانه وتجنفه على بغيضه، وتجرئه على الحق وعلى العدل..

هو أقرب للتقوى.

على هامش الخاطرة:

لماذا قال تعالى: (هو أقرب للتقوى)، ولم يقل: هو التقوى؟

يقول الشيخ العثيمين - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

قوله: ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ أي: العدل الذي أُمرتم به أقرب للتقوى، ولم يقل: هو التقوى، بل قال: أقرب للتقوى؛ وذلك لأن العدل قد يُحمل عليه مخافة الله فيكون تقوى، وقد يحمل عليه محبة الثناء عند الناس فلا يكون تقوى، ولهذا جاءت الآية الكريمة: ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾

ويقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله:

"ومعنى ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ أي للتقوى الكاملة، التي لا يشذ معها شيء من الخير، وذلك أن العدل هو مِلاك كبح النفس عن الشهوة، وذلك ملاك التقوى".

- وأكبر خيبة لهم، أن يكتشفوا أن كلَّ مخططاتهم لجَعْلنا ننهار بسبب ما يلحقونه بنا من ظلم وأذى؛ قد باءت بالفشل، وبأن اللطيف سبحانه، كم من بردٍ وسلام يُنزله علينا مصاحبًا لنيران حروبهم المتلاحقة علينا، فلا يلحقنا منها بكرمه سوى ما يرسخ إيماننا بعدالة قضيتنا، وبصحة اختيارنا، وبلطف ربنا.. كل الودِّ ودُّهم أن نثلج صدورهم بانهيار واضطراب يشفي مراجل قلوبهم المتأججة كرهًا وحقدًا.. ويأبى لطف الله إلا أن يكبدهم الخسائر والهزائم.
- الشكر لأولئك الذين حفظوا ودَّك، ولم يتنكَّروا لسالف عهدٍ ومحبة؛

فأقاموا عثرتك،

وستروا زلتك،

واستمطروا لك عوض العذر أعذارًا..

والشكر لأولئك الذين ألقوك - عيانًا - في جبٍّ لا مبالاتهم،

وباعوا - قصدًا - مودتك بثمن بخس، وكانوا في حق صحبتك وأخوتك من الزاهدين..

وأجزل الشكر وأوفره لأولئك الذين لم يطل تخَفِّيهم، في لحظة.. ساعدوك على تصنيفهم، وإلغائهم من قائمة المقرّبين.

- إلى من ضاق صدره من ظلم قريب، أو جفاء حبيب؛ لضيقة القبور أكثر وطأة من ضيق الصدور، فلنعلنها:

أيا دنيا فانية لا تحزينني.. لا تشغليني.. لا تلهيني

ربنا، هذه حياتنا الدنيا رضينا فيها بما قدرت لنا؛

فاقدر لنا حسنَ الختام، وميتة على كلمة الإسلام،

ووسّع لنا في قبورنا، واقسم لنا من رحمتك، وعفوك، وكرمك ما تبلِّغنا به جنتك.

- في قانون البشر، القانون لا يحمي المغفلين.. ولكن في دستور ربِّ البشر، دعوة المظلوم المستغفل ليس بينها وبين الله حجاب.
- وإني لأعجَب لمن خرج يلوح في السماء بشارات التنديد بالظلم، وهتافات الحنق على الظالمين.. ولَمَّا يقم دولة العدل في بيته.
- قد يعلو الظلم، ويصنع له أنصارًا وأتباعًا، لكن انتفاشته لا تدوم، ولا يمكنه بحال أن يصنع أمة. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾
- أحيانًا يكون السبب في تعنت الظالم وتماديه في استبداده، دون أن يتنبه إلى سفاهته وسذاجته ورعونته في خطته، التي

أخفق من قبله في اتباعها، استشعاره أو بالأحرى اقتناعه بأنه أذكى و"أفلح" وأكثر تكتيكًا ممّن سبقه، وبأنه قادرٌ على تغيير مجريات النهايات خلافًا لما كانت عليه نهاياتهم.. ولو كان أكثر فطنة لاعتبر وارْعَوى؛ عوضًا أن يضطر إلى المواصلة فقط إنقاذًا لماء الوجه.

- وأعتى السجون، أن تكون ذا مبدأ، وتضطر لمواجهة من لا مبدأ له، وأن تكون مظلومًا فيحولك خصمك إلى متسلط، وأن تكون عميقًا، وتضطر للتعايش مع السطحيين.
- هلّا اعتذروا إذ أخطأوا.. من الناس من يتحرَّى إيذاءك، ويتفنن في إيلامك. فإن أنت شكوت أو عتبت؛ اتهمك بالحساسية المفرطة. حجتُه في ذلك معرفتُه القديمة برقتك وطبعك المسالم، ورصيدٌ سابق من صفاء قلبك، وعدم ردّك بالمثل. وعِوض أن يعتذر ويعترف بخطئه؛ يزيد باتهامه قلبك حسرة وكمدًا.. وكأنه بخبث مقاله سيغطي عن سوء فعاله.. وكأن براءتك وحسن طوَّيتك تعطيه الحق في أن يؤذيك، وتمنع عنك حق التظلم والتشكي.
- لا تفكر في أن تخلط ما انتثر من حَبِّك بسمٍّ زعاف عقابًا لهم على إفراطهم في الثقة، فقد تحتاج أنت - يومًا - لذات العصف.

كقطع من الليل..

- وبين اتهامٍ للنيات وحكمٍ على السرائر، وبين تنزيهٍ وتبجيل وتعظيم؛ يضيع العلمُ بين طلبته.
- من تزلَّف بالباطل لأهل الباطل، وقدم الحق لهم قربانًا مذبوحًا في طسْتٍ من تملَّق؛ اجتمع باطله بباطلهم فصارا حبلًا يشنقه، وسكينًا يشرخ وجهه.
- أن ترى الحق حقًّا، والباطل باطلًا؛ نعمةٌ تستحق سجدة بين يدي المنان الوهاب.. في حين غيرك قد لُبِّس عليه، ولربما خُتم على قلبه وعلى بصره وبصيرته، فلا يرى أبعدَ مما يراه من حوله ممن لبس عليهم أيضًا، بل ويجزم أنك على باطل، ويعاملك على ذلك الأساس. إذا تعلق الأمر بشهوة؛ فالخلاص منها قد يكون يسيرًا لمن أراد الله به خيرًا ووفقه إلى التوبة، فكم من سكيرٍ.. وهو في أوْج خمرته يسأل الله العفو، وكم من مذنب يذنب وهو يعلم أن ما يفعله لا يجوز، وقد تكون خطوة الإصلاح معرفتَه تلك بحقيقة ما هو عليه، لكن الشبهات أمرها عسير، إذ تأتيك الأوهام على أنها حقائق، وتأتيك الظنون على أنها مُسَلمات، بل من كثرة اقتناعك بفكرتك لا تبحث عن وضعها في الميزان،

وبالتالي تصحيحها. فإذا ما هداك الله - مِنَّة منه وتفضلًا - إلى معرفة الحق ورؤيته حقًّا، ومعرفة الباطل ورؤيته باطلًا، فاسأله سبحانه أن يَمُن عليك باتباعه، فلا يكفيك معرفته، وأن يغدق عليك بالثبات عليه..

فكم مِمّن ساروا، لكنهم حادوا وانقطع بهم السبيل أثناء المسير.

- قد يكرم الله العلم بك.. ولا يكرمك به.
- نعي واجب..

ذات أمان، كانت هناك صحبة قد حملت لواء الإيمان، وحب الخير للأنام.. فلما صار ما صار، أعْوزها صحة فهم، وحسن قصد، فخاضت مع من خاضوا.. ولجّت مع من لجّوا، وضجّت مع من ضجّوا.. وحافت.. وجافت..

لم تفهم حينما أدلي لها، وأنفذت دون أن يتبين لها..

فسقطت

وأسقطت..

فلله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى..

عزاء واجب فيها،

وسيل دموع؛ رحمة جعلها الله في قلوب عباده.

- الخطأ خطأ، ولا شيء يسوّغه، والحق لا تبرأ ذمتك أمام الله إلا بإحقاقه ولو على نفسك، فقط أحسن الظن، واختر عباراتك وأنت تندد به، فليس من العقل أن يُصحَّح الخطأ بخطأ مثله، أو أكثر منه.
- ليس أمر الأعيان ما يهم، ولا أمر الشيوخ القادة المتبوعين، ولا حتى المتعلمين السائرين على نهج شيوخهم، إنما الخشية على المتعالمين، والأغمار التابعين، والرعاع.. أتباع كل نعيق، المائلين مع الريح حيث مالت.
- لستَ مُطالبًا بالتأويل لأحد، ولا أن تقبلَ عذرَ من لا ترى له عذرًا بعد أن عرضت خطأه على الشرع.. خَطِّئ الفعل، وابتعد عن ديانة صاحبه ونواياه، فوالله إنك لمسؤول عن كل كلمة، وعن كل حرف تتهم به أخاك بالنفاق والمروق من الدين. واعلم أن القدوم على من يعلم السر وأخفى، الديان الذي يحكم بين عباده فيما هم فيه مختلفون.. ولا تنس أن خصمك - يومها - دونهم محمد - ﷺ - ، وإنما وفاء الحقوق - يومها - ليس بالدينار والدرهم، وإنما بالحسنات والسيئات.. وليكن لك في نبيك أسوة، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وأسماء المنافقين الحقيقيين كانت عنده بوحي يوحى، لكنه - بأبي هو وأمي - لم يذكر أسماءهم، ولا تسابب بعده أصحابه حتى في أحلك الفتن بكلمة "منافق" التي أصبحت الأقلام والألسنة لا تجد حرجًا

من الجهر بها.. واسأل الله العافية أن نجّاك مما وقع فيه غيرك، فإنما هو توفيق من الله، وحرزٌ منه سبحانه، لا دخل لقوة إيمانك به، ولا لـ"فهلوتك" وحنكتك وحسن تدبيرك.. فلولا الله لما اهتدينا.. وفي النهاية، إذا أبيت إلا الاستمرار في نهجك التصنيفي الإقصائي البعيد عن نهج نبيك؛ فأرنا - فضلًا - صَكَّ أمنك الفتنة على نفسك، وعهدَ عدم سقوطك أنت أيضًا في الخطأ، وسنقبل عذرك حينها في اتهامك غيرك بالنفاق.. وسنصفق لك وأنت تهذي في محاولاتك المتكررة لإلحاقه بالكفار والمارقين من دين الله.. وسنسميك: " المعصوم الناجي".

- ترى أمتنا أصبحت في حاجة إلى نظارات طبية لرؤية الشمس برابعة النهار!؟ وإن رأت تراها ستصدق ما رأت؟ وإن صدقت تراها ستعتقد اعتقادًا جازمًا من غير شك ولا ارتياب في صحة ما رأت؟ وإن اعتقدت وعلمت أن ذلك هو الحق، تراها قادرة على استيعابه؟ وإن استوعبت تراها قادرة على الثبات عليه من غير أن يأتي ما يشككها فيه؟ فإن ثبتت، فاعلم - يقينًا - أن ذاك ما كان إلا بعدما تلظّت بنيران الخيبات، ولُدغت من ذات الجحر مرات، وطالها السُّعار المحموم الذي ظنت أنه إنما خصص لغيرها.. وعالجتها سكرات التيقظ بعد طول سبات، والاستواء بعد طول ترنح.

- ما بالنا ابتلينا بنبش القبور، نحشر ملفات إخواننا القديمة.. ننشر هفوات فئة ممن أخطأوا الحساب وأساءوا التقدير.. فكان منهم ما قد كان، ونجرّد زلات فئة ممن كان اجتهادهم يدور بين الأجر والأجرين.. نحلل ونربط بين الأرشيف وبين ما آلت إليه الأمور، نغتنمها فرصة للشماتة أو للقذف أو للوقيعة أو للإخراج من دائرة الأخيار.. وننسى بين هذا وذاك أن ما كان، قد كان بقضاء العدل سبحانه، الحكيم العليم المدبر، وأن نوجه أصبع الاتهام إلى أنفسنا ابتداءً.. نعترف بأن ذنب الواحد قد تتحمل عاقبتَه الجماعة، وبأن نسأل الله أن يسلم ألسنتنا كما أيدينا من الفتنة.. اللهم ألهم أمة حبيبك رشدها.. وقِها الفتنة ما ظهر منها وما بطن.

- دعوه، فلربما تاب توبة..

لربما ندم وتاب.. وأخلص وأصلح، ولربه أناب. لكنهم مصرُّون على طرده من الرحمات.. وإلحاقه بالسخط، وغضب رب البريّات.

كالوا له الاتهامات، وحددوا له العقوبات، وأعدوا النار له والويلات، فلم يعد بينهم وبين تحقق ما تمنوه.. بل ما أيقنوه، سوى البعث والنشور وخروج من في القبور.

وياليته وجد من القوم من يقول:

"دعوه فلربما تاب توبة..

- حينما تسقط القدوة..

ذات صلاح، كانت هناك قدوة، فلما سقطت

تداعت في النفوس معاني الفضيلة.. وانهار جدارٌ اسمه الثقة

في بقية صالحة من عهد الأمل.

فاللهم يا جبار نسألك أن تجبر ما انكسر.

- نظرت حولي إلى أخطاء "المتسنين" فوجدت أشدها: من استخفى في لحية (أو في خمار) واحتمى بآية يحفظها، وحديث يفقهه، وفصاحة تبهر من حوله؛ ليعفي نفسه من مواجهة نفسه، ويحس بأنه في أمان مادام اللسان قادرًا على أن يكون الحاجزَ ما بين عيـــوبه وعيـــون المتطفلين.

وأكثر منه من تعلم العلم ليُنَظّـر به للمعصية ويتحايل به على الرخص، ويخطط به ليرتع حول الحمى، أو لربما ليرتع فيه.

- أعجبهم صوتك وأنت تتلو القرآن.. فانتشيت

وانبهروا بغرفك من كتب العلماء وصدحك بأقوال الحكماء.. فاستكبرت

طاوعك لسانك، وذلّ لك بيانك؛ فهزمتهم، وسفَّهت

أحلامهم وانتصرت لنفسك واستعليت

غرَّك ستر الله؛ فتماديت.. فكشف سريرتك، وفضح طويتك، وجعلك أحاديث

فيا تُرى هل استحييت!!

هل نزعت، وارعويت!؟

(اللهم سترك؛ فلا تفضحنا، وعفوك؛ فلا تكشفنا. اللهم استعملنا ولا تستبدلنا).

- أنتم تصنعون طغاتكم..

سمعوا فصاحته في زمن صار التصحيف فيه ظاهرة فنية.. فبَجَّلوه،

ودرسوا عليه في وقت.. قلَّ فيه الطلب، وعملت الكثرة بالبدع.. فقدَّسوه.

استشهدت في مواعظها بأقوال رواد السلفية.. فنزهوها..

ثم لّما جاء التمحيص؛ فظهرت المخبوءات وكُشفت السرائر، أرْغَوا وأزبدوا، وأبرقوا وأرعدوا، وقالوا: ما كان ذاك الظن فيهم..

على رسلكم؛ علام اللوم؟ وفيم تعتبون عليهم؟

أنتم شركاؤهم؛ فقد كنتم عونًا للشيطان عليهم.

- درسهم منهج "التصنيف"، وعلمهم فن "الإقصاء"، فلما زلّ، كانوا أول من صنفه وأقصاه..

(مجرد تطبيق عملي..)

- تتبع الهفوات، وانتقص الكبوات، وشن الحروب والهجمات على فلتات اللسان وزلقات الأقلام.. فلما نُصح وعوتب؛ أرغى وأزبد، وأبرق وأرعد، ومن نصحهم انتفض..

ثم هدد:

"لُحُومُ العُلَماءِ مَسْمُومَةٌ، وَعَادةُ اللهِ فِي هَتْكِ أَسْتَارِ مُنْتَقِصِيهِمْ مَعْلُومَةٌ"

فيا من نصَّبت نفسك عالمًا، وحرَّمت لحمك على ناصحيك، وأهدرت أستار مرشديك، هلّا كِلْت لهم بمثل ما كِلْت به لنفسك؟ هلّا كان ذا التحريم للُحُوم مَن انْتَقَصْت وجرحْتَ!، بل ومن زمرة الأخيار طردت!؟

فوا عجبًا لسُمٍّ يختار من بين اللحوم وينتقي!!

- تعلم الحلال والحرام وبرع في تفصيلهما، فجعل من الحرام كبائر تجتنب، وصغائر لا بأس أن تقترف مادام لها مكفرات.. ومادامت العقيدة والمنهج سالمَيْن، فلا خوف على من عزم، ولا على من اقترف، ولا على من أصر..

لسان حاله:

وكثِّر ما استطعت من الخطايا
إذا كان القدوم على كريم

ما أغنى عنك علمك يا مسكين.. فربك الذي نهى عن الكبائر نهى أيضًا عن الصغائر

فلا تغتر.

- أنت بالخيار: إما أن تنصر الحق

وإلا؛ فإنك تنصر الباطل

أما الحق فواحد على كل حال.

- أرواحنا الظمآى إلى القدوة تدفعنا إلى صنع قدواتنا، وإضفاء الملائكية والقدسية عليها..

وحينما تظهر المخبوءات وتعلن السرائر؛ نُصدم، فيلزمنا - حينها - وقتٌ حتى نستفيق.. وحكمةٌ وتؤدة حتى نفكك شَعْثَ ما تداخل وتشابك في أرواحنا.

- ليس معصومًا، وليس كاملًا، ويصيب ويخطئ..(جبلته البشرية) لا تتفق معه من منظور شرعي ولا تسوغ خطأه بالدليل..(واجبك أمامه وأمام نفسك - وقبل ذلك - أمام الله) تنصره ظالمًا، وتنصحه وتقيمه إذا مال عن الحق..(لا

خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فيهم إن لم يقبلوها) (أديت واجب أخوتك له) لا تقدس شخصه ولا تزكيه ولا تلبسه حلية الأنبياء أو المعصومين.. (نجوت من الغلو والدروشة ومن عبادة العلماء) ولكن أن تجعل كلَّ كلامك لهمزه ولمزه، والتنكيت عليه، وتجريده من حسناته، وجَرْد أخطائه وعوراته، فقط لأنه زلّ من غير قصد، وأساء التقدير، ولم يوفق للرؤية من الزاوية التي وفقك الله للرؤية منها أنت!؟ راجع نيَّتك.

- إن منعتك الغشاوة التي على عينك وقلبك أن ترى الحق، فلا أقل من ألا تنصر الباطل، وتصفق له، وتروّج له.
- قالوا: "نصيحة وليس فضيحة" وهم يتحدثون عمن اختار أن ينصح أخاه علانية بما لا تستقيم معه مقتضيات النصيحة والغاية منها.. فماذا عن هذه الفضيحة وهي تستقي كنهها من الهمز واللمز والاستهزاء والتنكيت!؟ سيعجبون - حتمًا - بكلامك المُغرق في "خفة الدم".. وحتمًا ستضحكهم.. ستسليهم، وستنتشي لتصفيقهم لك..

لكن، تذكر الوقوف بين يدي الحسيب المنتقم سبحانه، الذي لا تخفاه خافية، وتذكر سجلك وماحوى، أكنت لتفرح بما فيه من همز ولمز وأنت تظن ذلك نصيحة..

- وأنت تتقاذفك أمواج الحيرة، وتتخبط في لجج الشك، ولا تعلم أي ركن رشيد يسند رأسك المترنح، لا تغفل عن المحجة البيضاء والخط الواحد الفرد المستقيم، وما اجتمعت أمتي على ضلال، واستخارة ربك العليم، واستشارة الثقات الراسخين، فـ(مِن حق العاقلِ أن يُضيف إلى رأيه آراءَ العلماء، ويجمعَ إلى عقله عقولَ الحكماء، فالرأيُ الفذُّ ربّما زلّ، والعقلُ الفردُ ربما ضلّ)

الــــرأي كالليل مســـوَدّ جوانبه
والـلـيـل لا يـنـجـلي إلا بـإصـبـاح
فاضمم مصابيح آراء الـرجـال إلى
رأيـــك تـــزدد ضـــوء مــصباح
إذا بـلـغ الـــرأي المــشــورة فاستعن
بـــرأي نـصـيـح أو نصيحة حـــازمِ
ولا تجعل الـشــورى عليك غضاضة
فإن الخوافي قوة للقوادم وبين هذا وذاك،

- (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ). والكلام لصاحب القلب السليم. قال الشيخ

العثيمين – رحمه الله – في شرح رياض الصالحين: "أي: حتى وإن أفتاك مفتٍ بأن هذا جائز، ولكن نفسك لم تطمئن، ولم تنشرح إليه؛ فدعه، فإن هذا من الخير والبر، إلا إذا علمت في نفسك مرضًا من الوسواس والشك والتردد؛ فلا تلتفت لهذا، والنبي – ﷺ – إنما يخاطب الناس، أو يتكلم على الوجه الذي ليس في قلب صاحبه مرض" انتهى.

- تراه شرًّا؟ أغلق على لسانك صدغيه، وعليك أبوابك واعتزله.. أو آوِ إلى كهف ينشر لك ربك من رحمته، ويهيئ لك من أمرك رشدًا.. أو عُض على جذع شجرة، وانتظر الفوت.. أو الموت.. ولا تصنع شرًّا جديدًا بدعوة الناس إليك، أو بتأليبهم وإلهاب حماسهم.. وبالتجني على اللغة بإضافة معنى جديد للاعتزال في لسان العرب..

الاعتزال معناه لغة: البعد والتنحي.

- وإن كنتَ ولا بد قائلًا، فاحذر أن تتحدث في غير فنّك؛ فتأتي بالعجائب، أو أن توصّف لي ما أراه بما تراه فلستُ أعمى.. واحذر أن تحلل ما لا يحتاج إلى تحليل، أو أن تخوض فيما هو من المسلَّمات عند الصديق قبل الخصيم، أو أن تستعير حروف فتنة تشعل بها فتائل الفرقة والضغينة؛ فتصطلي بها أنت قبل من رمت إحراقه.

- قال بعض الحكماء: لا ينبغي لعاقل أن يعرّض عقله للنظر في كل شيء كما لاينبغي أن يضرب بسيفه كل شيء.)العقل لابن أبي الدنيا(قلت: لو أن كلَّ من نبح، وكلَّ من عوى، وكلَّ من نعق، وكل من سب، وكل من قذف، وكل من هرّج، وكل من هرطق، وكل من تكلم في غير فنه فأتى بالعجائب، وكلَّ من بارى العلماء.. وماري السفهاء وصرف بكلامه وجوه الناس إليه؛ تابعناه على كلامه وألزمناه بما يقول، وصرفنا جهدنا ووقتنا لنقيم عليه الحجة؛ لما وسعت حناجرنا ألسنتنا، ولأعلنّا التفرغ للردود، فهم لا ينتهون، وكلامهم لا يمحل، وسفاهتهم ورعونتهم لا تنقضي.. والعاقل من يحفظ عليه عقله، ويضنُّ به على ما لا ينفعه ولا يشحذه.

- لا يغرنَّك كثرة التابعين..

إذا أردت أن تعرف القيمة الحقيقية لمبادئ وآراء متبوع كثير الأنصار؛ فانظر إلى نوعية أولئك الذين تلقى دعوته قبولهم، وإلى أولئك الذين يصفقون له ويتبعونه بمبخرتهم؛ لتعلم حجمه الحقيقي، فالنحل يدلك على طيب الطعام، والغراب إنما يدلك على الجيف.

- وفرق بين عالم بالله، وعالم بدين الله: الأول قاده علمه بربه إلى خشيته ومراقبته في حلّه وترحاله وكلامه وإطراقه وفعله

وتركه، والثاني قد علم تفصيل الحلال والحرام ونهل من كتب العلماء، لكن علمه ربما لم يهْدِه إلى الخشية وإلى الاتباع.

- ومن يستشرف لها.. تستشرف له.. الفتنة.. حدد في أي شيء فتنتك..وابتعد عن مواطنها.. وأصلح ما شأنه الإصلاح.. واستعن بالله، وانطرح بين يديه أن يغيثك منها؛ فلا نجاة إلا به ومعه.
- ارحموا أنفسكم أيها الإخوة الأعداء، وارْبَأوا بها عن حمية الجاهلية، فإن التراشق كما كاتانا الساموراي: ضربة قاتلة مقتسمة بين القاتل والمقتول.
- "احفظ القرآن الكريم في أسبوعين" "تعلم تجويد القرآن في عشرين دقيقة" "تعلم اللغة الفرنسية أو الإنجليزية في أسبوع، ومن غير معلم" "تعلم مهارات الحياة وفنون المعاملات في دورة من ساعتين" ظاهرة أقل ما يقال عنها أنها عبث بالعلم ووقاره وهيبته، ومهانة للحياة التي خلقت معلمًا لا تتوانى في منح دروسها، لمن أراد التتلمذ على يدها.. وجعي عليكم يا من حفظتم القرآن في أشهر أو سنوات، ويا من شققتم - زمنًا - أكبادَ الإبل لتعلم القراءات، ويا من شابت لحَاكُم وأنتم تتعلمون اللغات، ويا من سقطت أسنانكم ورُددتم إلى أرذل العمر.. وما زالت الحياة يعجزكم فكُّ شيفرتها..

وا حرَّ كبداه على من أمضى حياته بين الرفوف، ويا من تشققت ركبكم وأنتم تطوونها في مجالس العلماء، ومازال السائل يسألهم - وهم من هم! - فيقولون: لا أدري. وما قال منهم أحد إنه استكفى بعمره الذي أفناه في الطلب، وأنه بعد كل تلك الرحلة الشاقة الطويلة قد وصل.. أترى جيل السرعة والنت والمعلومة الجاهزة؛ أكثر حرصًا على الخير من أولئك!؟ أتراهم أكثر ذكاء و "فهلوة " ممن سبقهم، فاختصروا المسافات وتسلقوا المجد، ووصلوا بسرعة الضوء لمعانقة الذرى!؟ عجبي.

- بتُّ متيقنة قبل أي وقت مضى أن القدرة على التمييز بين الحق والباطل ما هي سوى مرحلة أولية وشارة البداية على طريق النصر.. ما زلنا أمة الغثاء ما دمنا في مبعد عن الأخلاق، ومادامت الأحداث لا تفعل سوى إخراج مزيد من الأضغان والأحقاد والفرقة العمياء بين أبناء الصف الواحد.. جيل النصر: جيل علم، وعمل، وإخلاص، ومتابعة، وأخلاق تبهر العدو قبل الصديق.. نحن كمن استيقظ من غيبوبة طويلة، قد عاد إلى الحياة، لكنه مازال في فترة نقاهة.

فلسفة الذنب

(سهام إبليس، وحبائل النفس..)

- وكيف لقلب الضعيف الكَلّ على مولاه ألا يتدنس بالشهوات ابتداء!؟ هي الجِبِلَّة والضعف المركب فينا، فلنسعَ للتطهير كلما تدنس.. ألا وإنا لسنا ملائكة مطهَّرين.. فارحم يا رب تقصيرنا وتكالبَ الضعف على قلوبنا، واغفر يا رب ما زللنا وما أخطأنا، وما سجد القلب بين يديك نائبًا تائبًا معترفًا.
- إنما أعمالنا وحرصنا على المعصية كمنتقم من نفسه موبقها، متربص بها أن يوردها المهالك.. قد تأتينا النذارات، وقد نرى من تسخير الله لنا طرق العودة وطرائقها، ومن عليها يعين، ولكننا نأبى إلا الانتقام منها.
- ويا أيها المستلذ بما أنت فيه، الغارق في غفلتك وشهوتك واستعمائك.. لعل الغرغرة تسبق التوبة.. فلا تغتر بستر السِّتير عليك.. لك يا نفس قبل أن تكون لغيرك.
- إن كنت ولابد مذنبًا؛ فلا تستكثر من ذنب تصيب به غيرك أو تجره إليه، أو تتركه بعدك سيئة جارية.. واحفر لذنبك معك



قبرًا، ولا تترك خلفك ما يقال به عنك: مستراح منه.. اللهم عفوك وسترك وحصنك من شر نفوسنا ومن شر الشيطان وشركه، ومن أن نقترف على أنفسنا سوءًا، أو أن نجرّه إلى مسلم.

- وبِتُّ أعلم أن الذنب قد يمنع صحبة الأخيار ومحبتهم لنا.. وتبقى لهم في سويداء القلب محبة نتوسل إلى الله أن تكون سببًا في رحمته، وجمعًا تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.
- وكيف أشتاق للقياك ولرؤية وجهك الكريم، وقد عنا وجهي حياء وكمدًا وحسرة على تفريطي وغفلتي وتسويفي، وعلى غصة من هوى يستعبدني..وعلى ذنب كبَّلني بتَّ تسترني فيه!!
- نذنب فنستوحش، ولربما ذاك الذنب لم يترك لنا نقطة حياء في وجوهنا، وكبَّل جباهنا أن تطلع إلى خالقها، وقلوبنا أن تسجد بين يديه سبحانه، ولربما جرّنا إلى اليأس والقنوط.. ولولا بارقة الأمل تلك، بأن الله ربنا غفور رحيم؛ لشردنا ولغرقنا في أوحال ذنوبنا، ولأنجبت المعصية معصيةً أكثر منها.
- أغلب من توغَّلوا في متاهات المعصية سقطة لم يعلموا بعدها كيف النهوض.. وتسويف وتسويغ ووعد كذوب بالأوبة..

أن تنحدر فتتنبه فتئوب، فذاك طبع الإنسان فيك.. لكن أن تستمرئ الانحدار وتستلذ بما أنت فيه، وتجعل للمعصية ألفَ مبرر كي تبقى متلبسًا بها، أو أن تعمي عينيك كي لا تواجههما بأنها معصية، وبأنها مخالفة لأمر الله وجرأة على محارمه؛ فذاك الذي يميت مسمًّى الإنسان فيك.

- "إنما نسدد ونقارب، يغرنا ستر الستير سبحانه، ويجرؤنا حلمه.. ولو أن لذنوبنا صوتًا لجلجلت به أقلامنا، ولو أن لها رائحة، لانسابت تزكم من حولها.. إنما هو ستر الستير، وحلم الحليم، ومنّة المنان الكريم.. نسأله أن يستعملنا، وألا يستبدل بنا، وأن يجبر كسرنا، وأن يرحم ضعفنا، وأن يستر ما خفي عن أعينكم.
- بيت لا تقوى فيه، أهله شباعى حتى التخمة من حبائل الشيطان ومكائده.
- والمعصية على استقباحك لها، وعلى اقتناعك حال العافية باستحالة ورودها عليك وورودك عليها؛ قد تتلبس بها، وتسقط في حبائلها في وقت كنت تعتبر ذلك من المستحيلات، بل إنك لترى في نفسك قدرة هائلةً على التصدي لها إذا ما داهمت حماك، واستعلاءً عليها، وجزمًا باستحالة أن يقع منك ذلك ما دمت تعلم أنها معصية وما دمت تراقب الله.

وقد تتكون لديك هذه الصلابة من تجارب سابقة لك أو لغيرك، ومن تقززك منها ومن ثقتك التامة في كرهك لها، وقبل هذا وذاك من حفظ الله، فإذا بها تتزين لك وتتبرج لك، وتأتيك في هيئة لم تعهدها عليها، تغلق دون عقلك التفكير ودون عينيك الإبصار، فلا تسمع إلا نداءها، ولا ترى إلا صورتها، فتبرر لك ضعفك أمامها، وتغريك باقترافها.. وفي لحظة انهزام تام وانهيار أمام حيلها وضعفك، تجد نفسك في براثنها، فلا تستفيق إلا والحرقة تفتك بك، والألم النفسي لما رأيت منك من ضعف وخوار مصاحبك، والخوف من عدم قبول توبتك أو الموت قبل تحقيق ذلك؛ يكبلك.. فياليت شعري، حفظ منها ابتداء وعافية وراحة بال - والعافية أوسع لنا - أم دموع انكسار وحرقة وتوبة نصوح وحياء من الله وعزم على الحيطة وعدم العود أيهما يقرب العبد إلى ربه.

- والوقاية: اعتصام دائم بالله وسؤاله العون، والولاية، والكلأ، وألا يكلنا إلى أنفسنا وإلى الشيطان طرفة عين، وابتعاد عن أماكن المعصية، وعن كل ما يمكنه أن يجرّ إليها، فمعظم النيران من مستصغر الشرر. وما جنينا على أنفسنا إلا من استمرائنا الرعي حول الحمى، وأمننا الفتنة على أنفسنا إلى أن نرتع فيما حرم علينا.. قد تكون البداية غض الطرف عن

البداية، ثم استساغة وتمادٍ في التسويغ، حتى نألف المعصية، ونعطيها تبريراتٍ كي نمضي فيها مرتاحي الضمير.. والحي من رفضت نفسه الاستمرار، وألحت عليه تلك الأسئلة المتجذرة في أعماق الضمير: "من أنت؟ وهل ما زلت أنت أنت؟ وهل هذا المطلوب منك؟ منة من الله وتفضل عليه حينما عصمه قبل المعصية، وحينما جعل ضميره حيًّا يلح عليه بعد الوقوع في الرجوع، وتوبة منه - سبحانه - كي يرجع ويتوب.. أفلا يرجع ويتوب!؟

- وإن الذنب الواحد ليسلب النعمة، ويسرق راحة البال ويكدر العيش، فكيف بمن طوَّقته ذنوبه!؟
- البعد عن المعصية منَّةٌ وتفضّل من الله على من يشاء من عباده، والوقوع فيها يذكرنا ألا نعتمد دومًا على حفظ الله دون أخذ بالأسباب، وابتعاد عنها وعما يوصل لها.. لا حصانة لأحد في ديننا، ولا أحد أكرم على الله، ويستحق حفظه استحقاقًا.
- ليست المشكلة في الضعف في حدِّ ذاته، ولا في السقوط والزلل، فتلك جبلة بشرية منذ أول غواية؛ إنما المشكلة في تجريد الحياء لله، والمسارعة للتوبة النصوح، ومحاولة جبر النقص ومتابعة الزلل ومواصلة مدافعة الهوى؛ فبها يسمَّى العبد عبدًا.

- وتشوف وتتطلع، وتريد من كل ما تهواه وتهفو إليه.. أغرقها في التيئيس تردعها.. نفسك.

- وكلما افتخرت نفسك بالطاعة، وتبجحت بالعمل، وسارت بك في طريق الاستكبار؛ ذكّرها بغرقك في العصيان، واردع صولتها باستعراض هوانك وضعفك وسقوطك في براثن الذنب.. تلجمها وتجعلها لا ترى لها شأنًا لولا منَّة وتوفيق الله.

- لو ما كان للذنب من عقوبة سوى الألم والوجل والخوف الشديد أن يقبض الله الأرواح قبل توبة نصوح وإصلاح، وأن يفسد عليك بذكراه نومك وأكلك وحياتك، ويمنع عنك طلب مصلحتك؛ لكفى بها عقوبة.. فكيف والأمر جنة أو نار وعفو أو نقمة ونعيم أو جحيم وقدوم على الآخذ بالذنب المنتقم شديد العقاب.. وكيف وظلمة قبر ووحشة وعذاب أو نعيم.. وكيف ومن استزلك متربصٌ بك، مخلص في أداء عمله، جادٌّ في الإطاحة بك لا يألو في ذلك جهدًا، ومالك من حصانة ولا عهد على الله أن يخلصك منه وقد ركنت إليه.

- الهوى غير مستعصم، والنفس شيمتها الأمر، والشيطان لا يحابي أحدًا.. ليس منَّا من له حصانة، ولا حق على الله

مفروض أن يعصمه من الزلل.. إن هو إلا مدده وتوفيقه وهدايته، ومنعه سبحانه.

- ليست هذه دعوة إلى اقتراف الذنوب، ولا إلى تنحل الملائكية والقداسة والتنزيه؛ إنما هي دعوة إلى الإصاخة إلى صوت الفطرة داخلنا.. إلى إعمال الفكر في إنسانيتنا بعد الوقوع في الذنب.. تعين الشارد على الأوبة، والمتعالي على الرضوخ والإذعان. فربَّ ذنب يقربك من مولاك، يجعل قلبك يسجد بين يدي القوي سبحانه معترفًا بضعفك، وبغلبة شهوة نفسك المركبة جبلة فيك، تسأله أن يرحم فيك ضعف الإنسان، وأن يغيثك من الأمارة بالسوء، وألا يكلك إلى نفسك طرفة عين. ويجعل روحك تسجد لغافر الذنب الرحيم التواب، العليم بضعف عباده، وبتلبس الشهوة بهم وضعفهم أمامها، القابل لتوبتهم ولأوبتهم واستغفارهم.. وذنب يعرفك نفسك، ويجعلك تكيل لها الاتهامات.. يعلمك أنك مهما بلغت من مراتب العلم والتقوى؛ إنسان، وإن أردت محاكاة الملائكية والسير في دروب النور؛ فطبعك الآدمي غلاب.. يعلمك ألا تزكي نفسك، وألا تتعالى على الخلق بعلمك أو بأخلاقك، ويذكرك أنك مهما اجتهدت؛ فأنت معرّض للابتلاء والتمحيص والفتنة، فيجعلك لا

تظن بنفسك خيرًا، وتبتعد عن العجب والغرور.. يعلمك السير في دروب المجاهدة، وتكلف الإخلاص حتى يصير ديدنك، والتصبر إلى حين البلوغ للصبر، والتخوف حتى يصبح الخوف فيك جبلة، والتورع حتى يصبح الورع سجيتك، والتعفف حتى يصبح العفاف نهجك.. ونفسك المحبة للحق ابتداء، المتجاذفة بين الطاعة والعصيان، يمدها النور تارة والظلام أخرى، هي نفس إنسان قبل كل شيء، نبتتها طيبة لكنها اجتُيِلت، وأوشك الهوى أن يستعبدها، تطلع إليها وانفض عنها العتمة، جاهدها.. اجلدها.. علّمها أن تسير على درب الوصول خاضعة خانعة منقادة.. وتبقى فلسفتك في التعامل مع الذنب بعد وقوعك فيه؛ الفيصل بينك وبين من حادوا وشردوا، وقطعوا على التوبة سبل الإياب.

سحائب الرجاء.. وشآبيب الرحمة..

(سياحة في معاني التوكل والرجاء واليقين،
ونهَلٌ من معين أسماء وصفات الله عز وجل)

- ولولا الإيمان بالأقدار، لضاع نصف عمرنا في التردد بين "أقدم" وبين "تراجع"..
  ولضاع النصف الآخر كمدًا وحزنًا على أنك أقدمت يومًا، أو على أنك أحجمت.
- فإن عافت نفسك الدنيا، وتلظَّت بجحيم الحياة؛ فاعرج بها إلى أبواب القائل سبحانه: (من يدعوني؛ فأستجيب له، من يسألني؛ فأعطيه، من يستغفرني؛ فأغفر له)، واسْرِ بها بقطع من الليل تعانق النقاء، ولا تلتفت إلا وأنت على الحوض.. تغرف غرفة لا تظمأ بعدها أبدًا.
- نحن في حاجة - خلال رحلتنا - إلى من يعلّمنا الإيمان بالأقدار، ومن يعيننا على القبول بها، والتعامل معها؛ أكثر ممن يعلمنا الحياة.

- بين نفَس ونفَس..لا تعلم ما يحدثه الواسع ذو الخزائن.. ينحدر الذهول من سرعة استجابته، والدهشة من واسع فضله، والتنبه لكرامات بشاراته دمعًا تذرفه الروح قبل العيون.. يُعجز اللسان والفؤاد عن اللهج بتراتيل الحمد والثناء.. لك حمدٌ تُفتح له أبواب السماوات، ويبتدرها الملائك أيهم يكتبها الأول، ويعضل بالملكين، فلا يدريان كيف يكتبانه.. لك الحمد، ولك الفضل، ولك المنَّة يا منان.
- ما سأل هباء - بأبي هو وأمي - ربَّه الكريم أن يعيذه من العجز ومن الكسل.. وإنك لترى الكأس بالقرب منك سيسقط، فتعجز أن تحرك يدك كي تمنعه.. وإنك لتكسل عن الفعل كنت تقوم به من قبل في خفة ونشاط وسرور، فإذا بك عاجز عن تحريك يدك به.. وإنك لتعجز عن نفع نفسك إن لم ينفعك الله.. وأنت عليم بما يصلحها، خبير بما يخرجها - بإذن الله - مما هي فيه.. نسأله سبحانه العون.. وأن يعيذنا من العجز ومن الكسل.. ومن شر كل ذي شر.
- لك الحمد؛ أنت الجبار، ولك الحمد؛ أنت الرزاق، ولك الحمد والشكر والثناء الحسن؛ أنت العزيز الوهاب البر الرحيم.. يجرئنا حلمك على الدعاء، وعلى الوقوف ببابك، ونحن.. من نحن في الجرأة على المعاصي وعلى الهوان!،

وأنت.. من أنت في مغفرتك وسترك وحلمك، وفي انتقامك وشدة عقوبتك.. نعصاك فتسترنا، وتَضِيق علينا فنلجأ إليك.. وكلما اشتد الامتحان؛ اشتدت حاجتنا إليك.. نسألك مسألة الفقراء المساكين المنكوبين، ونبتهل إليك ابتهال من سُدّت في وجهه كلُّ الأبواب إلا بابك.. نسترزقك فيفيض الخير.. وننتظر فرجك بيقين مَنْ عَلِم أنه آتٍ، وقعد ينتظر من أي باب سيدخل عليه، وعلم أنَّ في المنع عطاءً، وفي العطاء ابتلاءً، وفي الرضا سكينةَ القلب، وعظمَ الأجر، وراحةَ البال.

- يأتي فرج المولى أسرع مما كنا نتخيل، فإذا ما كنا نسجن أنفسنا فيه ونظن أنه مستحيل؛ يطرق أبوابَنا في الدقائق الأخيرة قبل الاستسلام ورفع الراية البيضاء، والتوقيع على عقد الانزواء والفرار.. أنِيخُوا المطايا بباب الجواد الكريم، وفوِّضوا كلَّ الأمر إليه، ودعُوا الأقدار تحمل عنكم همَّ التخطيط والترتيب.. وتيقَّنوا أن خلف كل باب مسدود في وجوهكم مراغمًا كثيرًا وسعة، وفرجًا وعطاءً وجودًا.
- حمدُ الله على نعمة يراها الناس نعمة، واتفقوا على أنها كذلك؛ فضلٌ وخير.. لكن تفردك بمعاني الشكر والحمد لما يراه غيرك نقمة وابتلاء، وتراه لطفًا ونعمة وهبة قد أنعم عليك بها

اللطيف الخبير، وألهمك معرفة بعضٍ من تصريفات الحكمة فيها؛ نكهةٌ لا تعْدلها نكهة، ولذة تجدُ برْدها في فؤادك وعبقَها في كلّ ترتيبات حياتك، وحسنَها كلما تدبرت في تصاريف قدرك وما قضاه الله لك.

- إن قدّر، دبّر.. سبحانه فاسع سعيك.. وفوّض الأمر إليه.. واجعل قلبك يسجد بين يديه سجدةً لا ترفع منها إلا وقد حِيزَ لك الخير كله.
- والكريم الجواد ذو الخزائن إذا منح.. أدهش.. واسع فضله، وكرمُ منّته يُخجل المسيء المذنب الفقير لعفوه وجوده، ويُعجز اللسان عن شكره.. فيا لفرحة كتلك التي ألجأت الأعرابي السادر في البيداء – من اندهاشه، وقد تقطعت به الأسباب، وهو ينظر إلى راحلته، وقد عادت من غير حول منه ولا قوة – إلى أن يخاطب ربه بحال فرحته ودهشته، ولسانه قد اختلطت عليه الكلمات.
- ذو مال وسلطة ونفوذ، ولا يجد أدنى حرج في أن يرد من استنجد به أو ألجأته الظروف إليه، إذ لا يرى في نفسه اضطرارًا لفعل ذلك، بل كلما زاد عدد المحتاجين إليه؛ زاد غرورًا وعلوًّا واستكبارًا.. وربنا الجواد – له المثل الأعلى – يفرح بمسألة عباده، وهو الغني عن مسألتهم، ويجيب من

وقف ببابه ولو كان كافرًا.. ذو خزائن الجود والكرم، ومَعِين العطاء الذي لا ينضب.. سبحانه.

- وتتنفس الصعداء، ولا نفهم لم هذا الإحساس المفاجئ بالارتياح.. نبحث ونبحث عن السبب، فإذا بنا تحررنا - فعلًا - من عبء مسئولياتٍ كُنا نظن أننا قادرون على إرغام أنفسنا على تحملها، فإذا بالإحساس بالحمل الثقيل جاثم على الأنفاس يكبلنا، ولو أنه ما زال مجرد مشروعات قادمة لم نباشرها بعد.. تضيق شعاب التنفس.. تسهر العين.. تتبعثر الخطى في إلحاح مستمر أن ننقذها ونعتقها مما لا طاقة لها به.. نحاول أن نرتب أوراقنا، وأن نقدر في أذهاننا المآلات، وأن نضع طاقاتنا موضعها، لكن سرعان ما نغمض أعيننا عن كل شيء، ونمضي.. فيأتي لطف اللطيف - سبحانه - بأمر خارجي يمسح عن أعيننا الضباب، ويواجهنا مع المرآة، وينزل قدرتنا منزلها.. فيكون منّا الارتياح، وشكر اللطيف على لطفه.
- لا يجعلنك الركضُ في دروب المجبولة على الأكدار، تغفل شكر الحكيم - سبحانه - على ما أعطى، وعلى ما منع.. ولا تظنن أن خبرتك تكفيك للاختيار.. ركعتان تتبرأ فيهما من قوتك وحنكتك، وتفوض بهما كلَّ أمرك للحكيم العليم سبحانه؛ يكفيانك هم الاختيار.

- ماذا لو طالت مصاحبتنا للشعور بالاستيحاش وبالغربة، وفقدنا - إلى الأبد - العون والسند، وتيقنَّا من أنه لا راحم ولا مجير ولا ركن يأوينا إليه؟ ماذا لو لم يكن ولينا الله، يأوينا ويكلؤنا، ويغدق علينا من لطفه ووُدّه، وبرّه، والرحمات ؟

اللهم لك الحمد؛ أنت الرب الصمد الجليل، ولك الحمد أنت اللطيف البر الرحيم الودود الولي الجميل.. ولك الحمد أن رضيت بنا عبيدًا لك.

- قلوبنا المثقلة بالأحزان، إن لم نسْرِ بها بقطع من الليل نسجدها للكريم واسع العطاء؛ فلن تدرك الفجر.. يا أيها المنتظرون تربيتة من حبيب أو مواساة من قريب.. يا من مدُّوا أبصارهم لمن حولهم، يتشوفون لكلمة تثني عنهم الأحزان، أو لمكالمة تبارك أو تعزي أو تسأل لكم الفرج والسلوان، اعرجوا بها إلى ذي خزائن الجود الرزاق الكريم الوهاب، فارج الكربات.. هناك كلؤكم، وهناك ولايتُكم، وهناك سكينة القلب، واستعادة وهج الحياة.

- الحمد لله أن خُلقنا عبيدًا لرب كريم، جواد رحيم، لا يؤاخذنا بذنوبنا وتقصيرنا، ويربينا بالنعم، ويفرج كربنا، ويستجيب دعاءنا.. ما لنا سوى تعليق بصرنا وبصيرتنا بالسماء.. وترقب الفرج والفرح من أي الغيمات سيهطل علينا.

- تحاول تتبع الرخص، والبحث عن حل لمعضلتك بالتخلي عما تدين الله به، والعدول عنه إلى رأي المخالف، تحسُّ بوخْزٍ في قلبك، وبعدم ارتياحك.. تسأل الله الفرج، وتدعوه بحرقة أن يجعل لك من أمرك مخرجًا، فيسخر لك سبحانه - من حيث لا تحتسب - من يجعلك تثبت - بحول الله وقوته وفضله ونعمائه - على مبدئك، وعلى ما ترجّح عندك مما اخُتلف فيه، بل ويمدك سبحانه بكرمه وجوده بالبدائل الشرعية، وبمن يتكبّد لأجلك عناءَ مساعدتك على تطبيق شرع الله.. فاللهم لك الحمد، ولك الفضل، ولك المنّة، ولك الثناء الحسن.
- هي أرزاق..فسبحان من خلق وفرق.
- ويا رجائي يوم ألقاك، كيف ألقاك.. وكل زادي رجاء!؟ استرني يا ستير.. واجبر - يا جبارُ - كسري.. وأغثني يا قوي من غرقي في لجج ضعفي.. وامْنُن علي بتوبة تجب ما غُلبت عليه، وما بارزتك به، ودسيستي، وما أخفيت عن أعين الناس.
- من لطف الله بنا أن ينجّينا من الإحساس بالخذلان في الوقت الذي يخطط فيه من حولنا لإثخاننا جرحًا وإيلامًا.. ثم تمر الأيام لنكتشف أننا - فعلًا - نجونا بأعجوبة من خيبة كانت ربما لو

صادفناها في أوانها وهي بعد "طازجة"، وفي ظرفنا الذي كنا فيه أحوج ما نكون ليد حانية؛ لربما كانت نسفتنا وحطمتنا.. لكنها الألطاف. ابتسم، وقل: لي رب لطيف رحيم، يتودد لي بنعمائه، ويجعل لنا من بين حصائد الشوك مروجَ وردٍ، وبسط أمان.

- نفوسنا المائجة المضطربة المتقلبة بين الفرح حينًا وبين الأتراح، وبين الأمل وبين اليأس والإحباط؛ هي نفوس توَّاقة - رغم كل شيء - لموهبة المعطي الوهاب: للطمأنينة والسكون والوقار.. تثبت القلب الخائف المضطرب، وتقوي اليقين بفارج الكربات.. فاللهم يا وهاب، أنزل علينا سكينتك، وأفرغ على قلوبنا صبرًا، واربط عليها.
- الطمع نعمة، يجرئنا على الانشغال عن ضعفنا وذنوبنا بما عند الله؛ طلبًا ودعاءً وضراعةً، ويقينًا في كرم المعطي المنان.
- وحتى وإن نفعونا.. فإنما قد سخرهم الله لنا. وحتى وإن التمسنا عندهم الفرج، فمن باب اتخاذ الأسباب فقط، أما القلب فمتمسك بأهداب الرحمة والفرج من مفرج الكربات.. سبحانه.
- لا لذة تعدل اجتماع الهم على دين الله، والتفاف القلب حول آية يرشف من معانيها، وينتشي بعبق السكينة والخشوع، فيتقلب بين قشعريرة ولين.. ولا ضنك أعتى من تفرق

القلب عن آي ربه، تحاول جاهدًا لأْمَ شتاته، وجمع شمله؛ فيأبى إلا التفرق بك عن السبل والمتاهات.. اللهم اجمع شمل قلوبنا على دينك وعلى كتابك الحكيم.

- وكلما أنف الفؤاد من شحّ النفوس، واستوحش من جفافها؛ تاقت أرواحنا العطشى إلى غَرْفة من حوض معلم الناس الإنسانية في أجمل صورها، والحب في أرقى معانيه.. عليك من ربك أزكى الصلاة والتسليم يا خير الورى.. اللهم آمنا به ولم نشهده، واتبعناه - على عرجنا وعوجنا - ولم نره، اللهم فلا تحرمنا لقاءه على الحوض، ولا تجعلنا ممن بدَّلوا وغيَّروا فحيل بينهم وبينه.
- له المنة؛ أمْهَلَ وغطّى وستر، وأتم برّه علينا بأن صرف أرواحنا عن الموت كمدًا وحسرة على التفريط، وشغلنا بمسألته، والافتقار إليه عن مواصلة متابعة الزلل والعيوب.
- حقّق عبوديتك لله، وثق في عطائه ومدده؛ يهيئ لك الأسباب، أو يبلغك حتى من دونها، أو يعطك على ما تراه أنت سببًا لعكس ما تريد.
- ومن لطف الله سبحانه، أن يشغلك بنفسك ومعايبها عن الغرق في عتابهم وتأنيبهم.

- ولا أجدني أكثر غبطة لأحد - غبطة تسح بسببها الجفون، ويعتصر القلب المشتاق - من رؤيتي لمن يسكنون ببلد الرسول الكريم، ومن يمرغون أنوفهم في أتربة الكعبة، ويشربون هنيئًا مريئًا من ماء زمزم، ويناجون ربهم في صفاء وسكينة تاركين وراءهم حطام الدنيا الملعونة إلا من ذكر الله وما والاه.. ما أحوجنا إلى الفرار إلى الله حينما تضيق بنا السبل.. ما أحوجنا إلى حرارة الرجاء، وإلى برد اليقين؛ يضخ في عروقنا دماء جديدة كي نستأنف المسير.. لكَمْ نحتاج إلى رحلة نور تنْداحُ فيها نسم الأنس بالله.. تحفّنا فيها الرحمة، ويدثرنا كرم الله.. اللهم لا تحرمني بذنوبي. اللهم سجدة بين يديك في بيتك العتيق لا أشقى بعدها أبدًا.. اللهم وكلُّ من ذاب قلبه شوقًا لبلدك الحرام، وتاقت نفسه لمعانقة النور.
- وأعظم من بلوغ النعمة، استشعارها ومتابعة مقام اللطف والحكمة والود والجود والتفضل فيها.
- يفارقه الولد الحبيب إلى مصير مجهول، ويؤخذ الثاني في دين الملك، فيصبّر نفسه بنفسه ويعزيها ويسليها.. وينتظر الفرج واللطف من أرحم الراحمين.. يشكو، ولا يشكو لهم حقيقة، وإنما يشكو بثه وحزنه إلى الله، ويدلهم على مراتع اليقين، ويغلق دون اليأس الأبواب.. ويمسّكهم بحبل الله المتين

ويذكّرهم – وهو أحوج ما يكون إلى التلقين – بإلههم وما يعبدون من بعده، ولا ترتاح له روح إلا وهم يتلون عليه شروط الولاء لشِرعة الملك الديان.. تلك قلوب الخُلّص الصادقين حينما يباشرها النور، وتسبح في أنداح الثبات واليقين، ما لها سوى قمصان البشارة، والبصر بعد العمى، واللقاء بمن شطّ بهم النوى، والعيش الكريم في أعلى عليين.

- "وألجأت ظهري إليك "قد اعتمدت على الحائط بظهرك فأسندك، وألجأته إلى كرسي فدعَّمه، فما بالك ومن ألجأت إليه ظهرك ووكلت اليه كل أمرك: ذي القوة المتين، العزيز الرحيم، اللطيف الكريم سبحانه..له المثل الأعلى.
- وأنت تتخطفك المجريات من حولك.. قف، تريّث، تفقد قلبك.. فأما الدين فقد تكفل الله بحمايته وإظهاره ونصره.. وأما قلبك الموكل بك، فليس لك من دونك – بعد الله – من يتولاه، واحذر – في لحظة ضعف – أن تيأس، أو أن تفقد الثقة في الله.
- أيها الألم الباسط ذراعيك بأبواب كهفي، تقرض فؤادي ذات اليمين وذات الشمال وهو في فجوة منك، وتحسب شعاع الفرح قد ازَّاور عن عيني، لو اطلعت على رحمة قد نشرها لي ربي، ولطف قد هيأ لي به أسباب الفرج؛ لوليت عني فرارًا، ولملئ قلبك من أملي وثقتي بربي رعبًا.

- تلك اللحظة الفارقة التي تصنع المؤمنين.. في لحظة عتو واستكبار.. وركون للقوة والجبروت والحشد العظيم.. ابتلعه الموج، ولم يكن له من الله عاصم.. وفي لحظة استسلام ويقين ورجاء، كانت النجاة، وكان لطف الله.. وكان الطريق وسط الماء، والنصر بلا قوة ولا عدد إلا ولاية الله.. إنها لنعمة أن ينتصر التوحيد على الشرك، واليقين والاستسلام على التجبر.. وشكر النعمة طاعة.. فيا أيها الصابرون، استحضروا معاني التوحيد في قلوبكم، واستبشروا بنصر الله لعباده المؤمنين.. وليَهْنِكُم الأجر والثواب.
- قد نقسو على أنفسنا حينما نستكشف أننا أسأنا الاختيار.. وقد نفقد الثقة في كل من حولنا.. لكن لنحذر أن نفقد الثقة في أنفسنا، فنحن بنا وبالله قبل ذلك، وليس بهم.
- أحسست بأن الكل قد خذلوك، وانفضوا من حولك؟ سمعت الشماتة بأذنيك، ورأيت القطيعة بأم عينيك؟ كبلتك الشهوات وأسرتك الذنوب؟ كلما عزمت على التوبة تخطفتك السبل؟ تكالبت عليك المحن وطوقتك الهموم؟ علمت أن كل الأسباب قد انقطعت بك؟ تأملت ضعفك، وتيقنت من قلة حيلتك؟ خذ البشارة: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان) (فاستجبنا له ونجيناه من الغم

وكذلك ننجي المؤمنين) سمع الرسول - ﷺ - رجلًا يقول: (اللهم إني أسألُك بأني أشهدُ أنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلِدْ ولم يولَدْ ولم يكنْ له كُفُوًا أحدٌ، فقال: لقد سألتَ اللهَ بالاسمِ الأعظمِ، الذي إذا سُئِلَ به أَعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب). مرغ أَنفك في سجدة، واستعن ولا تكل ولا تمل.. فربك الله الرحيم القريب الجميل.

- أتدري معنى أن تفوض الأمر لله؟ يعني أن تنتظر ولايته وفرجه، وأن يدبر كل أمرك.. يعني أن تبرأ من حولك وقوتك إلى كنفه وحوله.. يعني أن ترى بعينك لطفه وكرم.
- (حسبنا الله ونعم الوكيل) إن قلتها؛ فلا تبعثرها حروفًا مفرغة من معانيها، ولا تنطق بها بالعادة وبما جرى على اللسان، وبِرَدَّة الفعل التي هي أفضل من غيرها وأولى، لكنها خاوية من استشعارها، واليقين بها: حسبنا الله: وكيلنا وكفيلنا وكافينا، الضامن لأرزاقنا، معتق أرواحنا أو قابضها، الذي من كان له كان حسبه.. الحسيب سبحانه (العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها) (تفسير الطبري) حسبنا الله: نكتفي به ناصرًا دون من سواه، ونعتمد عليه ونثق فيه، كافي المتوكلين عليه همومهم وغمومهم، ناصرهم وإن كانوا قلة ضعفاء أو غثاء

مستضعفين. ونعم الوكيل: نعم المدبر الحفيظ لخلقه القادر على ذلك (المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي يتولى أولياءه فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور) (تفسير السعدي) إذا ما صدحنا بها، فلنستحضر كل هاته المعاني، ولنُفرِّغ فيها كل لوعاتنا وكل أحزاننا وكل آمالنا وأمانينا، وليكن استشعارنا لها، ويقيننا بها وفاءَ زادٍ نتبلّغ به رحمة الله، ونستجلب بها كلأه ونصره وولايته.

- يبتلي ويعافي، ويقدر ويلطف، ويمتحن ويمد.. سبحانه.. نفرح بمعافاته بعد طول محنة، وننتشي لفرجه بعد طول ضنك.. وتبقى العبرة والدرس.
- قد أصلح بينك وبين الناس، منّة وتفضّلًا.. وشكر المنة؛ أوبة وتصبر على الطريق..فاهرع إلى إصلاح ما بينك وبينه سبحانه.. ولا تتكل على دوام عفوه وستره.. فإن الستير يفضح، والغفور يأخذ بالذنب.. وإذا ما غفر وصفح، أمهل ولم يهمل، ومدَّ في أجل التوبة.. أنرجع أم نبقى في غينا؟ ومن يؤتَ البصيرة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.. والحكمة نعمة، وكفى بها نعمة.
- وقد يفوتك ما يفوتك من أمر دنياك مما كنت قد انهزمت أمام ضعفك البشري، وعصيت الله للحصول عليه، فمنَعَكَهُ الله وصرفه عنك، ومن لطفه أن أظهر لك الخبايا، وجعل انصرافك

توبة وأوبة تتملق بها مولاك أن يغفر لك بها ضعفك، لتتبين بعدها أنك كنت متعلقًا بالشيء الخطأ الذي ما كنت - لو كتبه الله لك - لتُحصِّل به خيرًا دنيويًّا ولا أخرويًّا، وما كنت لتهنأ به لما تبين لك بعد الانصراف أنه لا يليق بك.. فاحمد الله اللطيف أن صرفك بذلك عن السوء وعن معصية كنت ستزيد غرقًا فيها، واحمده على لطفه إذ جعلك تكره ما كنت من قبل تهفو إليه، وقطع تعلقك به كي لا تتألم، وجعل قلبك يبصر العافية واللطف، وحكمة الحكيم في العطاء وفي المنع. وتيقن من عطائه الوافر ولو بعد حين لأنك رضيت بقضاء الله وانصرفت عن معصية الله رجاءَ التوبة والمغفرة، وطمعًا فيما عنده - سبحانه - مما يصلح لك وما يصلح حالُك به.

- دعوة بجوف الليل يسجد فيها القلب سجود الشاكرين الطامعين في خزائن رحمة وجود رب رحيم كريم جواد.. يغتسل فيها القلب قبل العين من أدران سوء الظن، ومن شح المجبولة على التقتير.. وتسرج الروح الظمآى في ملكوت مجيب الدعوات، جاعل تواتر الفرج والشدة سنة كونية تقلبها بين الصبر والشكر، وتشحذها بالرجاء واليقين وحسن الظن بالله وبما عند الله.. يا رب كرمك الذي أنت أهل له، وجودك الذي وعدت به عبادك الموقنين، ويقين يجبر كسر القلب الكليم.

- لو أن بنا من قوة وجلد وحكمة؛ لانصرفت قلوبنا حال المحنة من النظر في تفاصيلها إلى تدبر عواقبها، واستشعار لطف الله الذي يصلنا بلطفه ورحمته من حيث لا نشعر، وولايته لنا سبحانه يكلؤنا ويحفظنا، ويرعانا ويسخر لنا من عبيده من يخفف عنا ومن يمشي في حوائجنا.. لكنه الإنسان الكنود المجبول على الضعف.. فاللهم أصلح لنا شؤوننا كلها، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.
- الاستخارة تعبُّدٌ لله بالتوكل عليه سبحانه قبل القضاء، وبعد القضاء إنما التعبد بالرضا.. فاللهم إنا نسألك الرضا بقضائك، وبعد قضائك.
- دعوني أخلو بربي.. أشكو له ظلمًا وفقرًا.. وحاجة ما قضاها لي أحد منكم، ولن يقضيها..

دعوني أسكب الدموع الحرَّى على ذنب خفي عن أعينكم، وزلة أبت إلا أن تكبلني، وحرقة على وقت يمضي، وعمر يفنى..

وعلى خطو يتعثر كلما رُمْت المسير مرة بحثًا عن الطريق، وأخرى بحثًا عن الرفيق.

دعوني؛ فَلِي ربٌّ يحميني، ويأويني، ويجبر كسري..

لك الحمد أنت الرحيم،

ولك الحمد أنت المجيب،

ولك الحمد أنت الجبار.

- علمت أننا نُرزق وإياهم، وأنهم يرزقون وإيانا، وعلمت أن الرزق عطاء الله، وعطاء الله لا يطلب بالحرام والمكر والخديعة، ولا يؤخذ بحال غلابًا.. وعلمت أن رزقي ما كان لأحد أن يسلبه مني، وأن ما ليس برزقي فليس لي فيه بحال نصيب.. وعلمت أن الفسحة والسعة في البركة، وليس في الكم والعدد.. وعلمت أن ليس كل الرزق مالًا، بل هناك أرزاق أفضل بكثير من المال.. ومنها نعمة الإيمان بأن الرزاق كريم جواد حكيم في عطائه ومنعه.. وعلمت أن الرزق ليس استحقاقًا، بل هو تفضلٌ وجودٌ من ذي الفضل الجواد.. فلأطمئن لما أعطى ولما منع..
- وقد نُحرم بعض الرزق ويُسلب منّا حتى لا نألفه، فتغيب عن ألسنتنا معاني الشكر للوهاب سبحانه.
- رزقك قد كفله الله لك؛ فاسْعَ إليه بالحلال، فإن ما بيد الله يُطلب توسلًا وانكسارًا، ولا يؤخذ بحالٍ غِلابًا.
- دمعة.. أم دمعة.. دمعة فرح بولاية الله ولطفه، وفرجه ونصره، فتجعلك تخر ساجدًا شاكرًا. أو.. دمعة حزن أو ألم يئزّ منها صدرك أزيزًا، فتلهج شرايينك - ولو لم تنطق - حمدًا وصبرًا وتسليمًا.. لا تدري أيهما تملأ ميزانك، وترفع درجتك، وتزيدك من الله قربًا.

- وفي الحياة.. كم نحتاج إلى إعادة النظر في مسئولياتنا ومهماتنا.. تنتهي مهمة لتبدأ أخرى.. وفي خضم الأحداث وتضافر التغييرات، ننسى مهمتنا التي لأجلها خلقنا: العبودية.. وحدها تنسينا هموم الحياة، وتذكرنا أن الذي شرَّفنا بعبادته - سبحانه - حرّم على نفسه الظلم الذي نكتوي به من العباد، والخذلان الذي يصلوننا به.. والقهر والاستبداد والتسلط الذي يغرقنا في لججه.. سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.
- مشكلة يعييك حلها، تردفها أختها.. تضيق نفسك ولا تعلم أن الله قد يجعل في المشكلة الثانية حلًّا للأولى.
- حقق عبوديتك لله، وثق في عطائه ومدده؛ يهيئ لك الأسباب، أو يبلغك حتى من دونها، أو يعطك على ما تراه أنت سببًا لعكس ما تريد.
- إذا تيسرت لك طاعة ساعة؛ فاعلم أنما هو توفيق ذي المنة.. فكم من ساعات تمر عليك دون أن تشتغل بشيء، وكم مرة احتجت فيها دقيقة فقط فلم تسعفك.
- الحمد لله ألم يكن في ديننا صكوك غفران، تختص بها زبانية ممن ظنوا الحق لا يخطئهم، والصواب لا يخالفهم، حتى إنهم من كثرة تنزيههم أنفسهم، زعموا أن في قلوبهم شيئًا قد وقر

كذاك الذي وقر في قلب الصديق رضي الله عنه.. وإلا لما تاقت نفوسنا للجنة، ولا استراحت قلوبنا للتوبة، ولما سرج الفؤاد طامعًا في كرم وجود مولاه.. فالحمد لله أن ربَّنا اللهُ سبحانه، الودود الكريم الرحيم الرؤوف التواب.

- بين التملق والافتقار، وبين تحقيق الشكر؛ دروب الصدق وفتائل اليقين بأنه سبحانه ما منعنا إلا ليعطينا، وما أعطانا إلا لنشكره.. فلنتفقد الصدق واليقين في أنفسنا، فلعلنا من قِبَلهما قد أوتينا.
- كلما تودد الحزن لي، وظن أنه مِن وَصْلي تمكّن، نفثت الأنفاس ذاك الجرح الذي بألوان السنين، قد تضمخ وتلون.. وخشعت روحي لمن قدر ودبر، ومن الخوف والروع أمّن.
- لولا الإيمان بالقضاء والقدر؛ لانقطع منّا الوتين حسرة وكمدًا على خيباتنا في المجبولة على الأكدار.
- يحسبهم الجاهل غرقى في اليأس، لكن حرفهم ينفث الوجع، وقلبهم معلّق بمن قضى وقدر.. يرجون فرجه، ويأملون عفوه، فاللهم أنت المطَّلع على قلوبهم، الخبير بسرائرهم؛ فرّج كربهم، وأزل همهم، واجعل ما يعانونه في موازين حسناتهم.
- هل مع الدعاء ولطف الله.. مستحيل!؟ ما زلت أذكر ذلك النص باللغة الفرنسية الذي كنا نُدرِّسه لطلبتنا والمُعَنون بـ

"عملية جراحية مستحيلة". وهي قصة زوجين وقعت لهما حادثة سير في مكان ناءٍ عن المدينة، وأصيبت الزوجة بردود خطيرة في الجمجمة، وبينما كان الزوج يحاول إسعاف زوجته؛ لمح مصباحًا من بعيد، فحملها إلى حيث انبعاث الضوء لعله يحظى بمساعدة أحد. دق جرس البيت؛ ليفتح له رجل مسِنٌّ، ويخبره بإمكانية مساعدته؛ فقد كان طبيبًا متقاعدًا. وتحكي القصة أنه قام ببعض الإسعافات الأولية بيدٍ - جدُّ مرتعشة - مخبرًا الزوج بأنه قد أصيب بداءٍ يجعل يديه ترتعشان. وبعد تشخيص للحالة، قرر أن المرأة في حاجة إلى عملية مستعجلة. حينما نقل الرجل زوجته إلى المستشفى، أخبروه أن إصابتها جد خطيرة، وأنها في حاجة إلى عملية مستعجلة، وأن تلك العملية التي تحتاجها لا يحسنها سوى طبيب واحد في كل المنطقة، لكنه الآن متقاعد، وحركة يديه المرتعشتين تمنعه حمل أدوات الجراحة فضلًا عن استعمالها. وهكذا تقفل القصة على هذه النهاية التعيسة، والتي سببها عملية مستعجلة.. لكن مستحيلة. كنت حينما أقرأ هذه القصة، ينقبض صدري، وأحزن لحال الرجل قبل حال المرأة، إذ هي على الأقل مغيبة عن الوعي غير دارية بما يجري لها، أما هو فقد كان في موقف لا يحسد عليه، فلا العلاج مفقود بالكلية فيستسلم، ولا متاح

فيسعى إليه.. وأنا أتذكرها الآن، خطر لي أن أحمد الله على نعمة الإسلام، وعلى نعمة عبوديتنا لربنا الله اللطيف الرفيق الرحيم بعباده، المجيب لدعائهم، الفارج لكربهم، شافيهم ومعافيهم، الطبيب الشافي سبحانه.. فهل كنا لنشقى بدعاء ربنا، حتى وإن تعرضنا لأسوأ الابتلاءات، ويأّسنا الأطباء من حياتنا فضلًا عن عافيتنا، وهو القائل سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾، والقائل - جلّ من قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾، والقائل على لسان نبيه - ﷺ: (إنَّ ربَّكم تبارَكَ وتعالى حيِيٌّ كريمٌ، يستحيي من عبدِهِ إذا رفعَ يديهِ إليهِ، أن يردَّهُما صِفرًا) صححه الألباني. هل كنا لنقرر استحالة تحوّلنا من المرض إلى العافية، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الفقر إلى الكفاف والغنى عن الناس، ونحن نعلم أن خزائن جود ربنا لا تنْضُب، وأن شربة ماء زمزم، ودعوة صادقة بقلب ساجد لمولاه، طامع في رحمته ولطفه، موقن بإجابة مجيب الدعوات؛ كفيلة بأن تجعل المستحيل ممكنًا والبعيد قريبًا.. تحول خرائب الآلام في قلوبنا إلى رياض مزهرة.. فاللهم اهدنا للدعاء باسمك الأعظم، الذي إذا دُعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت.. اللهم وفّقنا

لتحري أوقات الإجابة، واستجب يا مولانا لدعائنا.. واشف مرضانا كما شفيت عبدك أيوب بعد طول سقم، وفرج كروب عبادك الحزَانَى كما فرجت كرب يونس ويعقوب، واربط على قلوبنا كما ربطت على فؤاد أم موسى.. يا رب.. يا رب.

- لا أُنس لنا إلا بقربه، ولولا حلمه علينا وستره - سبحانه - لنا لما تجرأنا على المعاصي.. فإلى متى نستمرئ العرج وحياة الدون، ونحن نعلم أن القدوم على منتقم شديد العقاب!؟ وإلى متى ندغدغ نفوسنا ونربت عليها ونعدها بمغفرة الغفور - سبحانه - وهي مقيمة على ما هي عليه!؟ ساعة وساعة.. وساعتي اليوم في جلدها، عساها ترعوي وتكف عن التمنع.
- من أجل العطايا وأعظم الهبات أن يؤتينا الله - سبحانه - الحكمة: علم نافع، وبصيرة مسدَّدَة، وعقل رزين، وإصابة الحق والصواب في الحال والمقال والفعال، وتنزيل الأحكام موضعها، ومعرفة ما يصلحنا فنلزمه، وما يضرنا فنقلع عنه، ونبتعد عنه.. اللهم نسألك باسمك الحكيم أن تؤتينا الحكمة والموعظة الحسنة والبصيرة.
- حاشا أن يخيِّب اللهُ من تعلق قلبه به - سبحانه - ، وتقلب في معرفة صفاته وأفعاله، وعلم حق اليقين أنها الضر والنفع، والمنع

والعطاء بيده تعالى، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.. من كان ذاك حاله، فالله يكفيه ويأويه ويعينه، ويمده بقوته ونصره وولايته.. وإنك لترى ثمار استخارتك وتفويضك أمرك له - سبحانه - ولو بعد حين.. فقط، ثق بأن القدير العليم اللطيف لا يخيب من استخاره، ولا يختار لك إلا ما فيه خيرك.. واعلم أن سجدة قلبك بين يديه تسأله الغوث والعون والمدد؛ كفيلة بكرم الكريم ومنة المنان أن تقيك شر نفسك، وشر من يتربصون بك، وشر من يريدون العيش في حياتك فسادًا.. كن دومًا مع الله؛ يكن لك ومعك.

- اصنع كهفك، واحْتَمِ به منهم ومنك.. من نفسك الأمارة، ومن هواك، ومن أولئك الذين يرومون سحبك للهاوية.. اصنع كهفك، وأوِ إليه كلما ضاقت بك رحابة الحياة، واختلطت في قلبك المشاعر، وتشابكت الأحداث في نفسك ككبة خيط منقوضة.. يؤتك الله من لدنه رشدًا، وتستفرد بنفسك التائهة الماثلة بين إقدام وإحجام، وينشر لك من الرحمات ما يبلغك به المآمن.. اصنع كهفك؛ فزحام الحياة يسرق منك الإنسان.

- كلما أحسسنا بتضاؤلنا وصغرنا؛ استشعرنا كبره، وكلما أحسسنا بضعفنا؛ استشعرنا قوته، وكلما أحسسنا بفقرنا؛

استشعرنا غناه.. سبحانه. وكلما استشعرنا حوْلَه وقوته وغناه وفضله وكرمه؛ أنخنا المطايا ببابه، وسجد القلب يسأله من خزائن جوده.

- اللهم لك الحمد على نعمة النوم.. ينقطع فيه وعيك عما يدور حولك، ويزيل أثر الحزن والفتور، ويجدد النشاط ويمنح قوة على مواصلة مواجهة الحياة.. فاللهم يا قائل: (إذ يغشيهم النعاس أمنة منه)؛ أنزل علينا سكينتك وأمنتك، وتغمدنا برحمتك، ولا تحرمنا نعمك بذنوبنا.
- إذا خالج اليقينُ القلبَ المُتْرع بالأوجاع، وسكن الفؤاد الواثق في كرم مولاه؛ جعل الله له بصيرة لا يرى بها إلا هو، وعيونًا تنقشع عنها أستار الحقيقة، وكشف له عن بعض أسرار لطفه سبحانه، فتقلب بين النوائب والأدواء مستشعرًا رفق ربه ولطفه ورحمته سبحانه، وانقدح في ذهنه من العبر ما لا يفهمها سوى من جاد الله عليه بنفس القلب وبنفس البصيرة.. وكفى بها نعمة لمن عرف حق النعمة.

لجلجة الصمت

- يشيخ الصمت، فيسلّم السُّدَّةَ للثرثرة.. تتسرب الحروف بحثًا عن نقطة تغلق بها أبواب السطر.. فتصطدم بكلمات تائهة فيه.. حبلى بتفاصيل صغيرة، تبحث عن حقها في ملء الفراغات المنسية..
- الصمت يجعل أفكارنا تتشكل كما نريدها نحن، لا كما يجب أن نفهمها من الآخرين.
- لا أحد يعرف سر الصمت ولا كيمياء الخفوت.. لا أحد يتقنه كما أولئك الذين اعتادوا على الثرثرة والبوح العميق.. لا يتقن الصمت إلا من يتقن الكلام.
- لا تندم على أنك تدفقت بالكلام.. فلربما تندم يومًا أنك لم تتكلم حينما كان الكلام متاحًا، والبوح مباحًا.
- وما صمتك بأقل وقعًا من جعجعتهم وصهيلهم.. أحيانًا لا شيء يطفئ حرائق ضجيجهم من صمت دفين.
- أحيانًا يكون اختيارنا الصمت؛ لأنه لم يعد هناك ما يقال، وأحيانًا لأن الكلام لم يعد ينفع، وأحيانًا نخشى عليهم من عتابنا أن يكون سببًا في جرحهم وإيلامهم.

- مصلوبون نحن على مقاصل الكلام، نستجدي السكون.. فلا الصمت يشفينا.. ولا الكلام يروينا.
- بعض الصمت يعطل لغة الصمت، ويحرف أبجدياته، ويمنع منه الصدى.. فلا يصلك منه سوى وشوشات مشفرة يبعثرك فكها.
- لا تعول على الصمت كثيرًا.. فالصمت كما اللغة العربية حمّال وجوه.
- بليغ ذاك الصمت الذي يرغمك على الإصغاء لطَرَقاته الواجمة.
- حينما تقرر أن تصمت؛ أفهم أنك قد حددت مساحتك الخاصة بك، وبأنه ممنوع علي أن أرتع في حماك.. أعذرك..

وحينما تحدد حماك.. فلا تثريب علي إن أنا أيضًا فعلت.. فاعذرني.

- العتاب حياة.. والصمت موت بطيء.
- حينما تخرس الألسنة عن اللوم والعتاب؛ فليس لأنه ليس هناك ما يقال أو ما يعتب عليه، ولكن لأنه لم يعد للكلام جدوى، ولأن الفؤاد لم يعد يحتمل اجترار الألم.
- كم في الحياة من أشياء تكره الصمت أو الاختصار.. تحب التطويل والإطناب والتفصيل والإكثار.

- والصمت أحيانًا انتقام.. وبعضه رمح مكسورة في الأحشاء، إن أنت رمت انتشالها، انتشلت معها الروح.. وإن تركتها، جرعتك الموت قطرات.
- بيني وبين الصمت عهد لا يخلفه.. أن يغدر بي حينما أكون في حاجة إليه، فيزفني للثرثرة.
- بعض الناس يصارع أبجديات الكلام، يحاول أن يستجمع حروفه لينفث فيها الوجع، فتهرب فارَّة منه تمامًا كما يهرب منه تشخيص الإحساس.. وكلما حاول الإمساك بها؛ طارت محلقة تعاند السحاب.. وبعضهم ينازل الصمت.. عبثًا يتحايل عليه.. عبثًا يجرد الحرف من معانيه، ويلزمه بالخفوت وبالتخفي، فيأبى إلا التبختر والتبرج.. يحاول لملمة أسماله العنيدة المتحينة فرصة المثول بين يدي الحقيقة.. فتنبت في الحلق حصائد الكلمات تدمي بشوكها المقلتين.. فتند منهما ومن نتوءات الروح، ومن دهاليز الشريان.
- ولأن الأمر كان أبسط من أن يُشرح.. وأعْوَصَ من أن يُترك دون ذلك.. ولأن ما الشرح سوى محاولة بارعة في إيغال الأمر في الإبهام.. كان صمتي.
- وللصمت حكايا.. تشبه - أحيانًا - إطراقة الشجر بعد أن عبثت الريح العاتية الغادية بوريقاته وأغصانه، وما ناب

الجذعَ سوى نفض حبيبات الرمل الرقيقة عنه، وتكوم أخرى حوله تعضد منه الجذر.

- لا تلوموا ثرثرةً باتت تثبت للروح أنها مازالت تستجدي الحياة.. لا تلوموا من لم يعد يتقن طقوس الصمت.
- وكيف نطالب غيرنا بفهم صمتنا.. ونحن قبلهم لا نفهمه!؟
- بعض الصمت هروب.. وبعضه بداية النهاية.
- المواجهة رحمة على كل حال.. والصمت في بعض الأحيان قسوة.. وأية قسوة!.
- لئن أبَى الكلام أن يكتب قصائد النشوة وتباريح الفرح؛ فدع الصمت يعزف لأجلك ألحان الربيع يلوّنها بألوان القوس.
- ذلك الصراخ داخلي يسرق مني السكون.
- أكثر ما يرعبنا من الصمت أن نعتاده، فتنتهي فينا الحياة بموت الحبر مشنوقًا على الشفاه.
- مات الصمت مختنقًا.. كل شيء قد تم في غيابه.. والبتلة التي ساعدت منقار العصفور على اختطافها، احتضرت اليوم مرتين، مرة وهي تفك جدائل الليل كي تنظر من خلالها إلى الإشراق.. ومرة وهي تواري جثمان الصمت.

ترانيم قلم

(مملكة الحرف)

والحـــــرف بـســتـــان إذا أهـمـلـتـه
خــضـر المــعـــاني حـــولــه تـتـكـسر
والحـــــرف بـــركـــان إذا أيـقـظـتـه
جمــر الـلَّـــوى في حــدقــه يـتـمـوَّر

- قالت: وما الكتابة؟ قلت: احتراف الاحتراق.
- نحاول أن نتخلص من الواقع بالكتابة؛ فنكتبه.
- من السذاجة أن تقرر أن تكتب.. أن تأخذ قلمًا، وأن تحاول أن تصوغ.. إذا لم تتدافع الكلمات داخلك وتتسارع في محاولاتها المتكررة من أجل التحرر من سجن أعماقك؛ فلا خرجت ولا لوّنت بياض الورق.. نحن لا نَكتب، نحن نُكتب.
- الحياة التي كنا نروضها بالكتابة قد أعلنت العصيان.. علمت أننا نشفى منها بجرعة حرف، فحرضته انتقامًا على التمرد.
- الحرف أحيانًا اعتذار عن تلك الأشياء التي لم نقم بها، وعن تلك التي نحن على يقين أننا لن نقوم بها.



- قد تمارس طقوس الحياة مرغمًا.. لا تفعل مع الكتابة!
- تحينوا ساعة ألم الكاتب، فإنه يكون أكثر إبداعًا وتدفقًا.. أو أقول لكم.. امنعوا عنه الحبر وأوقفوا عنه تلاقح الأفكار.. ستضجركم ثرثرته.
- يعيش الأديب الحياة بكل عمق، فإن تمنعت؛ قصفها بقصة أو بقصيدة شعر.
- كل الأشياء التي يتقنها الصمت، تستعصي على الكتابة.
- رعشة القلم التي تصيبك على حين غفلة منك فتجعلك تكتب أكثر مما يجب، وتبوح بالذي شأنه أن يدثَّر.. طريقتك المثلى في اعتناق الحياة.
- جفف الشِّعر قطعة.. قطعة، وبيتًا.. بيتا، كما تجفف العذارى الورود تحتفظ بها في دفاترهن، واملأ به وسائدك للَّيالي التي يتمنع عليك فيها الحرف.
- وآفة اللغة.. العجز أحيانًا أمام الفيض.
- يضيق الصدر بزفرة.. ينفثها حرفًا يتطاير فلقًا.. تبعثر الأنفاس شظياته.. تتناثر أحلامًا.. تغيض في فسيفساء الروح.. تضيق بها الجوانح.. تبددها حرفًا.. ينسكب فوق الورق نرجسة وعقد ياسمين.

- وأعتى السجون.. حينما يكبل الألم القلم.
- بعض القصائد جمالها في عدم الاكتمال، تمامًا كما تلك الروايات التي يترك الكاتب خاتمتها مفتوحة؛ كي يُحمِّل القارئ عبء النهاية، ويقتسم معه جريمة وضع النقطة بعد كل انتهاء.
- ونكتب ونتحدث ويعلو صخبنا.. فكأنما تلك العبارة التي منها شفاء الروح وراحة النفس لم ندركها بعد، ولم تَجُد بها بعد قواميس البوح.
- وجع أن ترى روحك مصلوبة على مقصلة حرف.. وأعماقك تجهش من وثب الكلمات، وتقافزها لتنشئ مسمى قصة.. والسطور قد استشاطت غضبًا تشحذ أوتارها؛ كي تخطفك إلى ما ورائها. والأكثر وجعًا، أن تلتقي بقطع روحك الممزعة التي نثرتها ذات وجع حروفا وكلمات، وأن تضطر إلى الأنين كلما أعدت القراءة.
- أنا أكتب؛ إذًا أنا أمارس حقي في الحياة.
- رشق القلم يناوشني؛ فأحمل هم تلك النافورة القابعة بين الحنايا تود أن تتدفق كلمات.. نفسها تلك الكلمات التي إذ تود إخماد الثورات تؤججها.
- نحاول أن نكتب أوجاعنا.. فتكتبنا هي.

- جمال الكلام أحيانًا كثيرة ليس في كونه يحمل شيئًا غير معروف، ولكن في كونه يحلل الأشياء البسيطة، ويجلي مرآة الحقائق المألوفة.
- القراءة التي توسع مداركنا، هي نفسها التي توسع هوَّة ألم الإحساس بذواتنا.. تجعلنا أكثر قربًا من أنفسنا ومن الألم.. أن تكون مثقفًا عبء يضاف إلى أعبائك الشخصية المعتادة.. تصبح أكثر تحليلًا لدقائق ما يمر حولك، أكثر استشعارًا للذة وللوجع.. تتضخم مشاعرك وأحاسيسك، وتمنعك فلسفتك في الحياة أن تقبل بالبساطة.. تصبح كائنًا متوترًا حساسًا لأبعاد الكلام، ولأبعاد المواقف.
- الكلمة أمانة ومسئولية.. إذا أنعم عليك المنعم - سبحانه - بحسن البيان وبحلاوة اللسان، ويسر لك أمر إيصال كلامك للناس؛ فاحرص على ألا تطعمهم إلا شهدًا، وألا تخلط لهم السم بالعسل، وألا تمرر لهم من خلال كلامك سوى ما ينفعهم، وينفعك يوم تلقى الله.. واحرص على انتقاء عباراتك، وعلى الرقي بالمعاني.. وعلى جعلهم ينهلون من الجمال المرسوم بإتقان على لوحاتك المعروضة لهم.
- حظ الكلمات منك وحظك منها، أن تعزف بها تارة قالب سوناتا، وأن ترسم بها تارة لوحات تجريدية، وأن تصنع منها جناحين

يحلقان بك إلى ما وراء درب التبانة، وأن تنسج منها وشاحًا يحميك من الصقيع تارة، ومن الحرائق المشتعلة في صدرك تارة أخرى.. وأن تجعل سرك في روحها، وروحك في سرها.. وأن تثبت لنفسك عبرها أنك هاهنا.. مازلت تنبض حياة وحبرًا.

- لا أرى كريمًا جوادًا سخيًّا بمعايير الدنيا من الأديب!.. كل عبارة وكل كلمة، بل كل حرف ينبس به إنما هو نِثَار قلبه، وعصف شريانه، وجزيئات وجدانه المتشظية ألمًا لنفسه ولغيره، وفخرًا بنفسه وبغيره، وأسى على نفسه وعلى غيره.. أحاسيسه لا يلم شعثها ولا يفكك شبكها، ولا يمسح بيد الحنان والعطف عليها، ولا يخمد حريقها المشتعل في أحشائه؛ سوى ندى كلماته ونسيم حروفه.
- الكتابة حياة داخل الحياة.
- لا تبحث خلف الأديب، ولا تحاول إدراك من يكون.. اسمه شعار، وحرفه دثار.. ويبهجه - جدًّا - أن يجعلك - كلما اقتربت من حقيقته وحاولت الإمساك بها - ترجع إلى نقطة البداية عالقًا في خيوط أسئلتك التائهة الحائرة.. حقيقته فقاعة هلامية متشبعة بأنفاس طفل يرفعها الريح أمامك تلاحقها بعينيك وبكفيك، حتى إذا ما ظننت بأنك أمسكت بها، ووثقت من ذلك؛ فتحتها على فراغ منها.

- يصر القلم على أن يكتب كل شيء، وأن يذيع كل شيء.. كل الستائر التي تدثر الروح يهفهفها صريره.. نحتاج إلى شنقه من حين لحين.
- ينوء الحرف بالاكتظاظ وبالفيض.. فيسلم سطوته للصمت.
- أغلب الموءود من حروفنا، تلك التي خضعت لمنطق العقل.. ولرقابة الأنا.
- أعشق الأناقة في كل شيء، وترتاح ذائقتي للحسن الجميل من الكلام المنتقى بعناية، المصفوف كأنه قطع روح متأنقة مطرزة في لوحة حائطية تحت إنارة خافتة تسحر العين والفؤاد.. ولكم آنف من ذلك التكلف والتبذل، واختيار تلك الصور التي - وإن كانت من البلاغة ومن البيان، وتشبيهاتها تنُمّ عن ذكاء كاتبها - إلا أن معناها سمج، تعافه الخواطر، وتتكدر منه النفوس، وتخدش بزمجرتها وتقعرها واختيارها البذيء من الصور؛ الهدوء والرقي والأناقة.
- الشاعر الذي حرر قافيته، مات مبطونًا بالمعنى.
- ما لا يعلمه القارئ أن بعض ما يُكتب؛ قطع من الروح معلقة في مشانق الحرف، وبأن الدمع الذي يذرفه وهو يقرأ إنما هو دمع الكاتب يخرج تارة في هيئة ماء، وتارة في هيئة حبر.
- وأحيانًا نسبح خارج الحرف.. كي نعود لنغرق فيه.

- على قيد الحرف.. أحياء.
- بعض ما تسطره خواطرنا قد يكون محض خاطرة، أو التقاطة قد غنمتها مما تراه حولك.. لكنها لا تأخذ معناها وعمقه إلا إذا صارت واقعًا. فرق بين توصيف الألم والحديث عن الرضا بالأقدار، وأنت في مبعد عنه، وبين أن يكون هذا التوصيف عن عيش حقيقي لهذا الألم وتشبث بالحال والمقال على ما يعينك على الرضا بأقدار الله.
- أي جرم يقترفه الكاتب، حينما ينبش أعماق القارئ فيفصد تلك الأشياء التي ركنها في زاوية من ذاكرته، يظن بذلك أنه قد نجح في نسيانها، فإذا بها كما المارد قد خرجت بلمسة مصباح.. يذكر الغافي الذي أصبح يتقن طقوس إغماض عينيه عن تلك الأشياء المرغوبة المستحيلة، فيستفيق كما المجنون بضربة حجر، لا ينشد سواها، ولا يبغي من دنياه إلا ذلك المحجوب المتجاوز بإغفاءة.. تتبرج كلماته للمحروم، فتفتح عينيه عن حرمانه، وتوقظ أحزان المكلوم النائمة.. وتواجه من زعم الشجاعة والبراعة في تجاوز الأوجاع بمرآته، التي لا تكذب.
- صرت أعتنق اليقين من أن اقتحام بعض الحروف بعينها مجازفة.. مجازفة خطيرة أن تقتحمها وأنت تعلم بأنك إن أنت فعلت فإنك لن تعرف بعدها سبل الإياب، وبأنك لن تعود، وحتى

وإن عدت فلن تعود أبدًا كما كنت قبل أن تقتحمها؛ لأن الكثير من أبعاضك ستبقى عالقة هناك.. مصلوبة في جدار أزرق مشنوقة بصدق الكلمات.. أبسمل وأخطو بعيني اليمنى، وأرتل كل التعويذات.. أبحر بين المرايا المنتشرة الموزعة بين الحروف.. أقابلني بين السطور؛ فأبتسم لي وأعانقني، وأعاتبني في منحرف أو في زاوية، أو خلف صدى الكلمات.. أبتسم تارة، وأعلق تارات في دمعة قد نزت من شباك المعاني.. أحاول بعدها أن أستكين، فلا أستكين.. أدوّن دساتيري، وأرقم قوانيني، وأقرر ألا أقتحمها مرة أخرى.. فأفتح عيني على روحي ماثلة هناك بين الحقائق الموجعة، ولهيب الأحلام المغادرة وصدق الكلمات.

- جميل ذلك البوح الحزين الذي يرسمه الحرف.. جميل وشجاع.. والأجمل ذاك الذي مازال كامنًا.. يتعثر بين الحروف، وتدَثّره الكلمات، ويختبئ في لفافة شريان.. ذاك الذي تنوء به العبارة، وينوء هو بشجن الروح الغافية.

- وأغلب ما يدعوك للتفكير، بل يفرض عليك التفكير؛ الصراع والاصطدام: تصادم الأفكار في رأسك، وتصادمك مع الأحداث.. مع الممكن والمستحيل، مع الخير والشر، مع الشك واليقين، مع الفعل ورد الفعل.. مع الواقع والخيال،

مع الإمكانية والمحدودية، مع القدرة والعجز.. مع الإقدام والإحجام، فتحاول ترتيب الفوضى التي تكتسح رأسك، وفك شعث ما تداخل فيه؛ فتنتج بذلك فكرًا.

- القراءة أحيانا أنانية.. مهرب من الحياة والمسئوليات، ومناسبة للانفراد بالروح، وإنقاذها من صخب الحياة.
- لا خير في حرف لم تسقه الدموع.. ولا خير في بوح لم ينتحب شوقًا ورجاءً وتعلقًا بالغد الجميل.
- لا ترغم نفسك على الكتابة والبوح، إن لم تخرج الحروف طائعةً راغمة منقادة منسابة؛ فلا كانت ولا خرجت.
- ما بين الموت والحياة صرخة.. وقطرة حبر.
- لا تسأل كاتبًا عن مراده من خاطرة.. سيشرح لك كل شيء، وسيهديك كل قواميس المعاني الممكنة وحتى غير الممكنة.. إلا تلك التي أنشأها لنفسه، وجعل لها شفرة لا تفتحها كل الأرواح.
- سألتني: متى يسمى الكاتب بليغًا؟ قلت: حينما يستطيع أن يعبر عن نفس المعنى بصور بلاغية مختلفة، لا تقل جمالًا في كل مرة عن سابقيها أو تفوقها، ويقتدر على أن يصير تارة رسامًا يرسم لوحات مخملية بحرفه، وتارة موسيقارًا يعزف المقاطع الموسيقية بشدى كلماته.



- جوعى ويطعمني الحرف.. قبل حرف الرواية كلام رب رحيم منان، علم الضعف في عباده، وجوع الروح للأمان فهدانا بمنه لنور القرآن.

- الشاعر يتميز عن غيره بذلك الصفاء والشفافية، والاطلاع على عوالم الأعماق، التي تجعله يعيد صياغة الواقع والحقيقة بشكل وجداني لا يفهمه ولا يتذوقه إلا شاعر مثله، أو ذو حس مرهف ومشاعر عميقة. أما غيره ممن استهوته المادة، وطغى عليه التجريد، فلا يرى فيه غير طلاسم وشيفرات لا يهتدي بحال إلى فكها.

- وهل للحقيقة معنى في ذاتها حتى يكون للشاعر حقيقة في معناه؟ إنما يصنع الشاعرَ حسُّه وإرهافُه، ورؤيته المتفردة النافذة، وعالمُه الخاص به الذي يداهمنا من وقت لآخر؛ ليوقظنا من تُرَّهات الواقع وجفاء الواقع، فنبحر معه عبر مخيلته وخيلائه لنصنع للحقيقة معنى للحقيقة.. فدعوا الشاعر يعبر بنا أدراج الخيال والأوهام والحس المرهف، يسبر بنا أغوار أعماقنا الآسنة، علَّنا نفهم جزءًا من حقائقنا الغائرة الغابرة.

- الأديب كائن من ضوء.. هو جوهر محض، ولفافة مشاعر، وعصارة حس.. هو كائن "مشاعري" من فصيلة يعجز العلم عن تصنيفها: جنونه رجاحة عقل، وعقله خلاصة

قلب، وعينه عدسة لاقطة، وأذنه رشّاحة حس مرهف.. وقوده حرف، وكنزه حرف، وعملته حرف، وفخره حرف، ورواء ظمئه حرف.

- الكلمة:

كلمة ترفع صاحبها درجات، وكلمة تهوي به في جهنم.. كلمة تجمع روحين وقلبين، وتبني أعشاش السعادة، وكلمة تفسخ عقدًا وتشتت شملًا، وتجعل الأخلاء من بعد الوفاء أعداءً.. كلمة تنبعث من روح طيبة، تجعلك تحلق في سماوات النقاء والصفاء، وكلمة خبيثة من روح خبيثة تعكر صفوك دهرًا، وتجعل قلبك ينفطر لسم تنفثه في عروقك.. كلمة ترفع أقوامًا، وأخرى تسقطهم وتذلهم.. إنها الكلمة.. مسئولية، وعهد، وأمانة.. ومرآة لأخلاقنا، ولمبادئنا.. فلنَنْتق كلماتنا بدقة.

- العودة إلى الكتابة عودة إلى الحياة..

وحده الحرف يحمل عنا الأشجان.. وبعض الأرواح الشفيفة.

- ليس بالضرورة أن يكون سبب احتفاء الكاتب بإصدار له إحساسه بالتفرد أو بالعبقرية، أو بأن ما كتبه قد أتى بما لم يأت به من قبله، بل قد يكون بسبب قطعة من روحه قد صلبها حرفًا بين ثنايا كتاب، فتراه يخشى عليها من الخدش، تمامًا كما يخشى أن تزهق من بين ضلوعه.

قالت؛ فقلت..

- قالت: وما الربيع؟

■ فقلت: زهرة برتقال تضوعت حينًا، ثم غاض عطرها في لجج الرحيل، وبحار النسيان.

- قالت: أترى يفيد الزهرَ بعد رحيله حزنُ الربيع، ولوعة الأغصان؟

■ فقلت: الزهر إن رحل أو إن غاب عبقه، ما همّه أن يحزن عليه من كان سببًا في رحيله.. وما همّه ألا يحزن أو يبالي.. الزهر حينما يفقد ذاكرة العبق؛ يفقد معه الشعور، والإحساس.

- قالت: وما الخريف؟

■ قلت: أوراق لم يعد يطالها الرواء، فقررت أن ترحل.

- قالت: وما الشفق؟

■ قلت: دم الشمس المغتالة من مسافة الصفر.

- قالت: والعزلة ؟

■ قلت: طب القلوب، وهدأة النفوس، وقصٌّ لأجنحة الأحلام العنيدة كي لا تطير بنا.. وعيش للأحداث بكل الوعي، وبكل الحس الذي فينا.

- قالت: والوحدة؟

- فقلت: حمقى، من يظنون أن الوحدة غربة، وأن الانفراد وحشة.. الوحدة أن تجد نفسك مخترَقًا بالجموع.. فتبحث عن ملامحك في مراياهم فلا تراك.. أن ترى نظرة الاستغراب تنزّ من جفونهم، وهم يرون مركبتك القادمة من خارج المدار قد حطت بالقرب منهم.. الغربة أن تتحدث فيما لا يحسنون الإصاخة إليه، وأن تضطر إلى الاستماع إلى ما لا تحسن أن تراه.. الوحدة، أن تمضي ما تبقى لك من سويعات تضفر جدائل المستحيل، فارًّا من أن تلقاك، رافضًا أن تفهم أنما الأنس عطاء، وأنما السكن والسكينة بذل وجود وتضحيات.

- قالت: وما الغربة ؟

- فقلت: الغربة أن تلجئك الأوطان التي لفظتِها إلى أن تظلي مقيمة بين سجونها، وإن تنازلت عن هويتك وسلمت في وطنيتك، وهاجرت.

- قالت: واللامبالاة ؟

- فقلت: اشتعال متدثر ببرود مفتعل، يكشفه الإغراق في التصنع. قالت: فإن زاد؟ قلت: غرق في الصمت الصامت.. ذاك الذي يحوّلك إلى مجرد شريط أحمر.. تمر أحداثك عبره، دون أن تعنيك في شيء.. ويحوّل الزمان والمكان إلى اللاحدث.

- قالت: وما الحرية؟

■ فقلت: أن تصبح ذات قرارٍ حاسم مفرغًا من كل شيء، حتى من أحلامك.. لا يكبلك سراب، ولا يسجنك انتظار، ولا تقبع في زاوية ترتب العهود والمواثيق.

- قالت: وما التعاسة؟

■ قلت: أن تأتيك الأنوار متراقصة تداعب عينيك.. فتتوارى منها بغمضة جفن.. تخشى أن تصيبك منها نفحة.

- قالت: وما الحزن؟

■ قلت: خيبة مختزلة في انقباض ودمعة.

- قالت: وما الغبن؟

■ قلت: هدية من السماء طال انتظارك لها، وإذ يثقل كاهلك الاحتفاظ بها، تختار أن تفقدها.

- قالت: ألا تستطيعين السفر؟

■ قلت: وهل المرافئ تسافر؟

- قالت: أحزنها لأجل السند؟

■ فقلت: أرأيت - يومًا - ظلًّا يبكي ألَّا جدار يسنده؟

الظلال لا تبكي.. الظلال تتسلق الجدران.

- قالت: عجيب أمر المحب.. كيف لا يصفح عمن يدعي حبه؟

■ فقلت: وأعجب منه شأن الكرامة، كيف يدوسها من يدعي المحبة.

- قالت: فإن داس كرامتها؟

■ فقلت: لم يدخل بعدُ جنتها، ولم يجد ريحها.. وإن ريحها ليوجد من مسافة سنوات ضوئية.

- قالت: متى يكون الضعف فيها جميلًا؟

■ قلت: حينما يعبر فيه عنها بـ"رائعة"، وليس بـ"مسكينة".

- قالت: خلت المرايا من الابتسامات!

■ فقلت: كيف للبسمة أن تخترق المرايا، ونحن كلما حرثناها شردتها الرياح!

- قالت: والأحلام؟

■ قلت: لحظة مستقطعة من الألم، نكبح بها من حين لحين براثنَ الموت البطيء.

- قالت: يثقلني الوفاء!

■ قلت: تخففي منه يا صديقتي.. واعتنقي الحرية.. لا وفاء لألم، ولا للأحزان.

- قالت: وما الأرق؟

■ قلت: حلم عصي شارد بارد.. كمدينة عربية أرهقها الموت.

- قالت: قد كثرت الأمنيات، وتشعبت الأحلام؛ فكيف لي أن أرتبها؟

■ قلت: دعي النبض يفعل ذلك.. سيحمل عنك عناء الترتيب.

- قالت: وما الانتظار؟

■ قلت: قطعة عود مرشوش بماء زهر يحترق على مهل.

- قالت: وهذا الظل المنكفئ في الغرفة؟

■ فقلت: ليس ظلًّا.. تلك جثة المساء المحنط بتواشيح الغروب.

- قالت: وهذه الأنهار؟

■ فقلت: دموع امرأة قد أفنت عمرها تنازل المستحيل، والندى حبات عرقها وهي تعد الخسارات..

يا لتعاسة الورد! ما الذي يغسل جذره من ملح مدامعها؟ ما الذي يكنس عنه حبات الندى كي لا تصيبه لعنتها؟

وكم يكفيه من حلم كي لا يفقد ذاكرة العبق؟

- قالت: وهذا الصمت؟

■ قلت: وسيلة اللغة للتعبير عن العجز أمام الاكتظاظ.

- قالت: وما الاكتظاظ ؟

- **فقلت:** أن تمتلئ بك وبغيرك وبرونة الحياة؛ حد الذهول.. حد المجاوزة.. حد احتراق الكلام داخلك.
- **قالت:** وما النجوم؟
- **قلت:** شرارات الأرواح المكلومة، يسترها النهار، وينشر الليل سرَّها.
- **قالت:** وما اليقين؟
- **فقلت:** أن تنظري لِلُّطف وللفرج بعين الواثق من مولاه.. وقد أعجزه السبب.
- **قالت:** وأكبر الغبن؟
- **قلت:** أن تنتبه على انتهاء فرصتك في الحياة.. وأنت تبذر في المكان الخطأ.. حتى إذا ما التفت إليك وإلى ما حولك، لم تسمع سوى خشخة أوراق الخريف تحت قدميك، تأبى إلا أن تذكرك بك وبهبوب رياح تشرين.. وبوقع أقدامك موليًا.
- **قالت:** وكيف لي ألا آسى على ما فات، وألا يشتعل صدري حزنًا وكمدًا بعدما نرضخ - قهرًا - للمآلات؟
- **قلت:** استنزفي نفسك يا صديقتي في الإصلاح.. قدِّمي كل الممكنات وكل المستحيلات من تضحيات.. استميتي في الدفاع عن حقك في السعادة، واطرقي كل أبواب الصلح، واركني

كرامتك جانبًا فليس وقت إعادة ترتيب أوراق حياتك وقتها.. فإذا ما استنزفت - هباء - نفسك في تنظيف طريقك، واستنفذت - عبثًا - خططك في إعادة تعبيدها، فحينها - وحينها فقط - عليك تحويل المسار.. وحينها - وحينها فقط - كلما راودك الأسى، غلقت دونه كل الأبواب.

- قالت: وما الأمل؟

■ فقلت: انهماك في الحياة.. لتعتنقي الأمل يا صديقتي.. وإلا فانهمكي في الموت.

- قالت: والهزيمة؟

■ فقلت: أن تطيل الوقوف بين يدي الأطلال، وتدمن المثول مصلوبًا على أعتاب المستحيل، ثم تمضي ما تبقى من شيب هاربًا من كل شيء.. بدءًا بذاتك.

- قالت: مابال بسمة الفجر باهتة؟

■ فقلت: حريٌّ بها أن تبهت.. أليس الفجر سليل الليل، قد سُلخ منه قهرًا، واضطره الإصباح إلى أن يُفطم؟ ذاك ألم الرحيل.. يذرفه بسمة.

- قالت: أمازلت تكتبين؟

■ فقلت: وكيف أثبت لنفسي أنني مازلت على قيد الحياة؟

- قالت: وما الصباح؟

■ قلت: بعثرة الأمنيات على جناح فراشة.. وتلويحة للشمس كي تستمد وهجها من براءة ابتسامتك، وشدى جميل يلهم العنادل؛ فتتعلم الشدو من ألحانك. قالت: ثم دعاء بتحقيق الأمنيات، ويقين بالإجابة. فقلت: قد سبق الدعاء الإصباح.. قد اغتسل بومض النجم، والتحف بتواشيح الأسحار.

- قالت: لماذا نطيل المكث ببيت الأحزان، بينما باب الأفراح خالية؟

■ فقلت: الحزن رصين، والفرح نزق.. رعشته راحلة، ونشوته عابرة.. هلامي كما الزئبق.. كما فقاعة هواء.. نضم عليها أكفنا ونفتحها على خلو منها.. ومضته كما المنارات، تدلنا على المرافئ، ولا تشغل نفسها بأن تضيء لنا كل الطريق.

- قالت: وما الهروب؟

■ قلت: غنيمة.. فـ"الفرار في وقته ظفر"

- قالت: وما الألم؟

■ قلت: انتقام الروح من الروح.

- قالت: وتلك البحة في صوت الليل؟

■ قلت: تراتيل الأشجان.. يتهدج بها صدر السماء.

بشريات.. وشذى الأعطيات..

(نستبشر؛ كي تكون لنا البشرى..)

كم عشت أرقب من بشارات المدى
سلوى ينمنمها العبير فأنتشي
ونصبت أفخاخي أُميل من المنى
حلمًا ألوذ بطيفه لا أختشي

- الشمس التي أحرقت جفونهم، أخبرتني أن في مفرق الصخرتين زنبقة.. وحفنة نور قد بعثتها ترعى تُوَيْجَها كي لا ينكسر.
- قالت: أراك متقلبة بين حزن وشجن، وبين أمل وتفاؤل؟ فقلت: هل يمنع الحزن الدفين من أن نستبشر كي تكون لنا البشرى؟ وهل يمنعنا الاستبشار من أن نتألم؟ ابيضت عيناه - عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام - لفراق الحبيب وقال يا أسفى، وتولى وهو كظيم كميد كئيب، وقال (وأعلم من الله ما لا تعلمون)، فهل أثناه الحزن عن الأمل فيما عند ربه الكريم الجواد؟ وقال قبلها: (عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا)، فهل

أثناه أمله ورجاؤه في لقاء أبنائه، وفي فرج ربه؛ عن أن يحزن ويتألم؟ الآلام لا تبرح من كان له حس، والأحزان والخيبات سُنة المجبولة على الكبد والنصب، ونحن متقلبون بين بسمة وزفرات وبين نشوة ودمعات، وإذا ما صفت لنا ساعة؛ فعلينا أن ندرك أنها إلى غيوم وكدر، وأن الأصل في الحياة الهمّ والغم والمصائب؛ حتى لا نركن إلى الدنيا، ولا نستعذب صفاءها المؤقت، وحتى تتوق أنفسنا إلى دار السعادة الدائمة، ونكون دائمي الأهبة والاستعداد لما تلقيه الأقدار في طريقنا، متوقعي الاصطدام بالخيبات؛ حتى لا نتلقاها تلقي المعتوه الذي يفزع لسماع قطرة ماء منحدرة فوق زجاج نافذة.

- يُغلق بابٌ.. يُفتح باب.. هذا هو الترتيب المنطقي للأمور حولنا.. نحتاج فقط أن نطمئن إلى حكم المولى واختياره.. فبعض ما نتشبث به من مشاريع وأحلام، قد يمنعه الله عنا كي يهيئنا لما يصلحنا ويصلح لنا.. وبعض ما نعمي عنه عيوننا، نختار عنه غيره، قد لا يعدو أن يكون رزقًا طيبًا سهلًا ميسرًا، لا يستنزفك الحصول عليه، ولا يكبدك الخسائر والهزائم أن تحظى به.. فقط، لنرضَ بما اختاره الله لنا، ولتطِبْ نفوسنا بأقضيته وأقداره.. ومن أوصد دونه أبوابه؛ بقي أبد الدهر خلفها.

- ويحدث، أن ترى كل الدنيا حولك مرتبة منمقة مزهرة، وأنت تتنشق عبير زهر البرتقال.. وأريج الكلمات.
- ليس للأحلام ولا للدعاء تاريخ صلاحية.. من حظنا!
- تائهة هي الأحلام التي لا تجد لها مرفأ يحتضنها بعد طول سفر.. تائهة شريدة حسيرة.. لكنها تظل ترتقب ومضة من منارات الفضاء، تمامًا كما تتشوّف المرايا المهجورة لعيون باسمة.
- ثمة أمل لا ينتهي.. ذلك الذي يطرق بابك كلَّ صباح، ويتنحى قليلًا منتظرًا أن تفتح له.. يستأذنك.. فإما أنك تنتظره كما ينتظرك أن تفتح، وإما أنك قابع في صمتك ترقب الأمل الجميل، الذي سيأتيك في يوم جميل لا تعلم ما هو ولا متى سيكون.. تنسج اليأس بخيوط الانتظار، وتوشح الخيبة بالتماهي مع الظلام والانكسار.. الأمل اقتحام.. منك قبل أن يكون منه.
- وما الحياة إن لم نكن لنعيشها بعمق في كل تفاصيلها؟ وما عيشنا إن لم تكن لكل لحظة آنية عندنا اتساع مساحة لحسن استقبال ما تلقيه الحياة في طريقنا؟
- خذ حفنة من آذار، ضوّعها بعبق زهر البرتقال، واغتسل وروحك من بقايا الغيم.. لعلها ولعلك تنبتان من جديد.

- نهرم حتمًا ساعة عبوس، ثم إذا ما ابتسمنا عدنا أطفالًا.
- بعض الفرحة قد لا تعدو أن تكون إطلالة زهرة برتقال من شباك نافذتك تزف لك الربيع.
- نفكر حتى يعجزنا التفكير، لكن المدبر الحكيم يدبر - سبحانه - فرجًا أكيدًا لنا.. ما خلَقَنا ليضيعنا، وما ابتلانا ليعذبنا.
- أن تغمض عينيك وتفتحهما، فترى أن كل شيء حولك أصبح يشبه وجه الصباح، وعطر الصباح ونقاء الصباح.. أن تتماسك كي لا تغرد قبل استفاقة العصافير، وأن تحجب نورك كي لا تُخجل خيوط النور.. أن تنظر للمرآة فتراها تبتسم، وأن تسكنك الحروف فتمتزج بالشريان.. أن تشذب قليلًا جناحيك كي لا تطير، وأن تعتمد على روحك كي تُبقي قدميك يلثمان أديم الأرض.. أن تتسارع بين شفتيك الكلمات، لا صبر لها على الترتيب، تلهج بحمد وشكر مغير الأحوال.. (كل يوم هو في شأن)
- في أحداق الفجر تنبت الأمنيات.. تلك التي سقتها مدامع النجم.
- شرّع كل أبواب أحلامك، وعانق الأماني، وانفث الوجع ثلاثًا عن يسارك.. قد جعل الله لكل شيء أجلًا، والكرب لابد مستوفٍ أجلَه، فإذا جاء أجلُه فلا يستأخر ساعة ولا

يستقدم.. قد لاحت في السماء بشارات الفرج، وحانت ساعة الولادة بعد طول مخاض، ولوّحت رايات النصر في الفضاء الرحب.. إن هو إلا صبر ساعة، فاحبس النفس عن الهلع، وطِبْ نفسًا، فإن الذي وعد بالفرج والنصر والتمكين.. لا يخلف - سبحانه - الميعاد.

- لا شيء.. غير أن صدى الأمنيات يوجع الذاكرة الخاملة.. يستفزها كي تسترجع جواز سفرها، وتهيئ حقائبها كي تسافر؛ حيث المزينات تداعب رذاذًا يتحين فرصة الرسُوّ على وجنات جورية نعسى.
- الشمس المتلحفة بمرط السماء تهمس في أذن الربيع أن يتبختر.. استرق السمع منها زهرُ البرتقال الرابض خلف شباكي، فتضوع.. وشدى النغير بصوته الرقيق المفعم بالبشرى قرب عشٍّ بيضه يحيي الأغصان التي هيأت له الاستيطان.. وما الربيع إن لم يكن زهرًا وطيرًا وبشارة، وبعض أمنيات!؟
- نسائم الفرج، وتباشير الفرح، فارفع هامتك أيها الفؤاد المُنكَّس الحسير.. واسأل تعطَ فلك رب حيي كريم يستحيي أن يرد صفرًا يدَ من به تعلق.
- ذاك النور يستشرفني.. فأتوق لأن أكون ذرة.

- دوي الحرف، والمواجع العتيقة، وحلكة هذا الليل، وبحة القمر، والنجم المستكين.. وبصيص الفجر القادم من وراء المدى.. لن يطيل بحوْل ربه المسير.
- قالت: كيف حالك اليوم؟ قلت: أتذكرين حالي أمس، وأول أمس، وما قبله، وما قبله؟ هو ذاك حالي.. مع نقص يوم من رصيد حياتي، وزيادة يقيني في فرج قريب. قالت: إذًا، أكفُّ عن سؤالك كل يوم!، وأجعل كلامك ذاك قاعدة!؟. فقلت: لا عليك، اسأليني ودعيني أذكرك، وقبلك أذكر نفسي بضيق نفوسنا، وسعة كرم الله، وضعفنا وقوة الله، وفقرنا وغنى الله. اسأليني كل يوم، وترقبي معي يوم الفرج، عسى سؤالك يصادف يومًا مراسيم الفرحة، وطقوس البهجة، فتحتفلين معي يومها بتحقيق الرجاء والحلم المخملي الجميل.
- يكفيك أن تبرم عقد صلح مع نفسك؛ كي يصبح الكون حولك أجمل صديق.
- ابتسم.. وافرد كفيك للخير القادم.. من حدق حسن ظنك بربك ينبت الفجر ومن ثغرك البسام يشطأ نور الشمس.. ابتسم، فلك رب جواد كريم وهَّاب رزّاق معط.. يغدق على الكافر الجاحد، فكيف بمن وحده ورجاه.

- لا شيء.. غير أن الفسيلة التي سقيناها عبرات ودعوات، مازالت الروح المتعلقة بمُخرج الخبء - سبحانه - متشوفة لطلعها..

لا شيء.. غير أن الانتظار حياة.. وأولئك الذين كفُّوا عن الانتظار سرقت منهم دروبُ الحياة معاني الحياة.

- قد شارف السعي على الاكتمال يا حفيدة هاجر.. والمُعصر من مولاك سيتفجر بفضله - سبحانه - ثجاجًا.
- استعضت عن السكر بالأحلام.. وارتشفتُ قهوتي خفية عنهم.
- بيني وبيني طيف.. كلما عميت ألقى على عيني قميص البشارة، وأخرجني ببسمة من جب الأحزان.. وأرفع الحرف على عروش التمرد، ألبسه تيجان الأمنيات.
- سنبتسم، لهدير الرعد، ولعويل الرياح، ولثورة البراكين الخامدة.. سنبتسم، لزمجرة العواصف، ولقصف البروق، ولأنة الألم.. سنبتسم، فربنا الله.. رب الضعفاء والحزانى والمكروبين فارج الهم، رافع الضيم، الولي النصير.
- ومازال الذنب يطوقني والضعف يستلبني، وكاد الشيطان ييئسني من رحمة الرحيم.. وتلك الوحشة أوشكت أن تنجح في غلق بوَيِّبٍ كان مفتوحًا بيني وبين ربي.. فما زلت في ترنحي حتى جاءتني البشارة:

- (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) (هود)
- إذا أسأتَ فأحسِن.
- وأتبع السيئة الحسنة تمحها.
- عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، علمني عملًا يقربني من الجنة ويباعدني من النار. قال: إذا عملت سيئة، فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها. قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هي أحسن الحسنات. فمازالت البشارات تتوالى علي حتى سحَّ الدمع المتحجر في شرياني، وهمت العيون فرحًا برحمة وكرم وجود وحلم وستر الإله سبحانه، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

- فيا أيها العيد، حلّق بنا من ضيق نفوسنا المجبولة على الكَبَد والضيق إلى رحابة أرواحنا التواقة للفرح وللمرح، ولمعانقة سماوات السعادة.. حرّرنا من همٍّ قد جثم على صدورنا، وتصاعد بتصاعد الأنفاس، وادخل بنا إلى حيث الأحلام المخملية والعوالم الوردية الطفولية، واسكب بين ضلوعنا بسمات ونفحات، وأعطيات وتواشيحَ أمل.
- بشرني، كلما رأيت اليأس يطاردني، والضعف يتنازعني، ونفسي المهيضة تغور في رمال الاستلاب.

- اخذله وتفاءل، وانفث عنك وسوسة من أخذ عهدًا على إحزاننا. (ليحزُن الذين آمنوا)
- ولأنها تتعب من الحقيقة، ومن زيف الواقع، ومن كدر الأيام.. تحتاج جرعة أحلام.. أرواحنا.
- لن تغرب شمس في وجه روح مبتسمة، ولن تبرح فتائل النور من عانق الأمل، ورأى في كل بارقة صيبًا نافعًا.
- حمقٌ.. نحاول أن نجنب أنفسنا القادم الذي نخشاه.. بخشيته قبل أن يقدم.
- هو الكرم واللطف والرزق والفرج.. تأتيه حبوًا فيأتيك هرولة، وتسأل الفتات فتأتيك الخزائن.. فيا للذةِ فرجٍ لا مِنَّةً لأحد عليك فيه.. ويا للفرحة برزق استبطأ واستعجلته، فكان لوفوده بعد طول انتظار؛ عناق المحبين ووصال المشتاقين.
- وسنظل نتقلب في الأحلام.. إذا ضاع حلم في المستحيل فرتب حولك باقي الأحلام، لعل أحدها يصادف الحقيقة.
- ما نحن إلا أحلامنا؛ فلنحسن الأحلام.
- أيتها الأيام الراكضة المتصرمة، كل ليل قديم قد طويتِه، وكل فجر جديد قد نشرتِه.. إنما هو خطوك الحثيث بنا لإدراك

لحظات الفرج، وركضك لنفخ الفرح في أرواحنا المتشوفة لمعانقة الأحلام.

- وسنحلم.. وسنوجع المساء أحلامًا.. وسنثقل الصبح آمالًا.. وسننقش كل أمنياتنا في قلوبنا التوّاقة لابتسامة الفجر الندي.. نوشيها بدعوات صادقة دامعة مجهشة بين يدي مجيب الدعوات وجاعل الأحلام والأماني دوحةَ الأرواح المتعلقة بأهداب رجائه، وحسن الظن فيه.
- من ذاق طعم الحرية، يستحيل أن يحنَّ للأقفاص.
- إلى من ضاقت به فملأ الدنيا صراخًا وعويلًا، ويئس ويأّس من حوله.. إلى من لبس نظارتي شؤم، ولم يرَ في الأحداث حوله سوى نفقًا مظلمًا وسردابًا لا آخر له.. إلى من استعجل النصر والفرج، فلما طال به الأمد لوَّن الحياة بالسواد، ونفث سم يأسه وإحباطه في إخوانه، وتقمص دور الشيطان ليحْزُن الذين آمنوا.. تذكر: (إذا قال الرجل: هلك الناس، فهو أهلكهم)، وأن الذي وعد بالفرج حيٌّ قيوم، وبأنه قد وعد ولن يخلف الوعد، وبأن سنة الله في التمحيص ماضية، وبأن الغاية أن تلقاه على الطريق ناصرًا للحق.. لا أن تكون لك الغلبة والعلو في الأرض.. تصبر؛ فإن الفارجَ اللهُ.

- تعلّم أن تحب الليل، وأن تحب الغيم، وأن تحب ساعات الظلام الصادق.. فالغيم جدّ أكبر لشمس الربيع، وعتمة الليل سلف خيوط الفجر النقي.. تعلّم في الغيم صدق حزنه واعتصاره قبل أن ينجب قطرات الحياة، وفي الليل صدق انتحابه قبل أن يفرج عن شمس النهار.. تعلّم من كل حزين صادق في حزنه أن من لم يتألم بصدق لن يفهم معاني الفرح.. وأن من لم يعرف الشدة لن يراقص فتائل الفرج.
- ستورق.. حتمًا ستورق وتزهر.. ما دام يسقيها نقاءُ قلبٍ لا يعلم من كنه الحياة سوى الصفاء والبراءة والإيواء إلى الركن الشديد.
- وكلما اشتدت، قرب النصر والفرج، وزادت قلوب الصادقين تعلقًا بالذي وعدهم ولن يخلف الميعاد، وأطرقت جوارحهم خاشعة مطمئنة تنتظر ولاية ربها، وتترقب من أي الأبواب سيدخل الفرج، يحثُّ الخطى، ويقتحم عليهم شبابيك الانتظار.
- أيها الخائف الجازع الغارق في يأسك، انفُثْ عنك وعد الشيطان الكذوب، وثقْ بما عند ربك الكريم الحكيم العليم، والزم الضراعة له والافتقار لولايته.. واحذر أن يكون كلامُك مما يؤثر فيمن حولك فتبث فيهم الجزع والهلع.

- كن إيجابيًّا، وانظر إلى الأمور حولك بعيني الواثق في حكمة الله، الراضي بقضائه، العالم بتواتر الشدة والفرج، الموقن بأن فعل الله كله خير.. وإن لم نتبين الحكمة الآن.

- كالفلق المنير كانت جذوة صبرك، ألا ليتها لا تطفئها خيوط العتمة المتسللة من بين جدران قلبك المتصدع ألمًا وحزنًا.. فيا أيتها الحروف الحبيبة، يا حروف التنفيس والاستقبال، انثري حولي زهور اليقين، وطوقيني بقلائد الثقة، ودعيني أسكب كل أملي وكل رجائي وكل أمانيّ في ترنيمتك المصمتة المهموسة الرقيقة: (سيشفيني.. سيهديني.. سيرزقني.. سيكفيني.. سينصرني.. سيأويني).

- قالت: كيف أصبحت اليوم؟ قلت: أصبحت بحال من استبشر فكانت له البشرى، ومن تشوف للفرج وانتظر النور من منافذ الضيق؛ فجاءه كرم الواسع - سبحانه - من حيث لم يَدْرِ.. ولسان حاله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾..

- وتهرب الحروف.. تتسلل بين أسمال العتمة ترقب خيوط الفجر القريب.

- ستمطر فرحًا.. صيبًا نافعًا لأرواحنا.. وستدبّ فينا الحياة من جديد.. كَجُوريٍ ذابلٍ عاد إلى الحياة بعد طول احتضار..

وستسجد قلوبنا شكرًا لمن جعل في دهره نفحاتٍ تحيي القلوب الموات، وتغرس في الأرض المستقحلة توبة وأوبة وانبعاثًا.

- أراد قلم - يومًا - أن يكتب عن الألم، فرَصَّ حروف الأوجاع وتهيأ لمعانقة قواميس الجراح.. خانه الوجع.. انتحب.. تمخض.. فأنجب عبارات رضا، وتسليم، ورجاء في القادم الجميل..تراقصت الحروف، ودوّنت بمداد استبشار: "لم تنته بعد الحياة."

- ويا أيها الفرح الموقوف بساحة الانتظار، تصبر؛ فإن الفارج الله.. وانتظر بشارةً كما بشارة يعقوب بيوسف بعد طول نأي، وزكرياء بيحيى، وسارة بإسحاق بعد كبر وعقم، ويونس بعد ظلمات بطن الحوت في ظلمات البحر.

- قالت: كيف حالك؟ قلت: حال من يحاول زرع ورد بين حصائد الشوك، وقراءة الفرح وراء سطور الألم، وتلمس الأمل في شطآن اليأس.. حال من يريد فتح جناحيه للحياة يعبر بهما سحائب المستحيل.

- بعض طموحاتنا وأحلامنا أقرب إلى الوهم منها إلى الحقيقة، وإلى المثالية منها إلى الواقعية.. لا تحجر على أحلامك وطموحاتك.. ولكن لا ترفع سقف توقعاتك، ولا تنظر إلى السماء حدَّ نسيانك موقع رجليك.

- قد أطلَّت هامةُ الفجر تبشر بالفرج القريب.
- لو سكن الضيق تجاويف الكهوف، وتسرب الهم بين شقوق الجحور، وعشش بين نتوءاتها؛ لتبعه الذكر ينسف سكناه، ويبدد أسواره وينقض في أعماقك شُعَّهُ المتشعب. ذكر وشكر وابتهال.. خير ما نستقبل به هذا الوليد.
- عبق الفجر المنبثق من البكور قد فاح، زنبقتي لا تحتاج إلا لبسمة من خيط النور؛ كي تغرق الكون في الدهشة.. وفي العبق.
- نسائم الفرج وتباشير الفرح.. إن لم تطلَّ عليك طواعية؛ فتعرض لها. أجمل خيوط الفجر، تلك التي مزقت لأجلها سدول الليل، وفتحت لها الشبابيك، ووثبت تلاحقها.. لا تلك التي انتظرتها أن تخترق النوافذ كي تداعب منك الجفون.
- أيها المبتَلَوْن، اثبتوا؛ فإن الذي نصر بني إسرائيل المتلكئين الجاحدين الجازعين، ونجاهم من سطوة الباطل وتسلط المتجبرين؛ لقادر على أن ينصر أولياءه الطائعين المصدقين الصابرين، وأن يظهر الحق، ويعلي كلمة دينه.. ولَيَفِيَنَّ - سبحانه - بوعده إنه لا يخلف الميعاد.. لا مكان لليأس ولا للجزع في عقيدتنا، إن هي سوى سنة الله في تمحيص عباده،

وإنها للجنة تختار عُمَّارها.. والبلاء إن اشتد فلعظم الأجر، وإلا كيف لنا أن نكون إخوان النبي - ﷺ، وما بلغت عبادتنا معشار عبادة أصحابه، وما جاهدنا معه وما شهدنا معه الضراء.. ليس لنا في ديننا تزكيات ولا توصيات ولا مجاملات، بل الله يزكي من يشاء، ويختار من عباده الصبورَ الشكور، الثابت على الحق، القابض على الجمر.

- ويأتي الفرج من حيث دريت ومن حيث لم تدر.. ومن بين حصائد الشوك وصفائح الثلج، يُنبت مروج ورد، وينشر شآبيب رحمته.. (يدبر الأمر)
- استبشر، فالضيق إن كان يدخل من النافذة، فإن الفرج يدخل من أبواب متفرقة.
- رحلة العتمة قصيرة، وأحلك ما في الليل سويعته قُبيل انسكاب زخَّات النور.
- وما يضيرنا أن ننتظر إشراقة الشمس ولو بعد الزوال!؟ فلعل غيمًا قد حجبها.. وما زالت به حتى قبِل أن ينزاح.. خيوطها المتسللة بين أسمال الغيوم تشي بها على كل حال، وتفرُّق نسيج الغيم في الفضاء الرحب يعلن أنه إلى زوال.. في انتظارك أيتها الشمس ولو أبطأت.. فلطَلَّتُك احتفاء وأي احتفاء!.

- قالت: رأيت الأيام تركض كأنها خائفة مستنفرة.. تجردنا من أحلامنا، وتخلع عن قلوبنا معاني البهجة. فقلت: بل هي تجري بنا؛ لندرك بقية رزق وبقية أجل ينتظرنا، لم نستكمل بعدُ نصيبنا فيه.. لن يمضي أحد برزق خديجٍ ولا بأجل منقوص.
- ما أشبه الليلة بالبارحة)فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال كلا إن معي ربي سيهدين) (الشعراء) قد لاح طيف المتجبرين بالقرب، يتوعد القلة المستضعفة بسحق عظيم، وبانتصار ستتغنى به الأجيال من بعد، وسيردع كل من سَوَّلَتْ له نفسُه اتّباع دين الله والمروق من طاعة الحاكم المتجبر.. فئتان التقتا: فئة لها عتاد وقوة ودعم فرعوني لا يضاهى، وفئة مؤمنة مستضعفة، كان ديدنها التشاؤم بموسى، وتذكيره بالأذى الذي لحقهم مذ جاءهم، ولم يصل بها اليقين إلى أن تعلم أن ذلك المتَّبَع، إنما هو مؤتمِرٌ بوحي خالق الكون بما فيه فرعون الطاغية، ومدبر شؤون خلقه، وبأن نصره لا يتخلف عن المؤمنين به، لكنه قلة الإيمان والجزع عند الخطوب، فهم لا يرون أبعد من الأسباب حولهم، وكلها نذارات سوء، وإرهاصاتٌ لنفاذ الحيلة وغلبة فرعون لهم، فجموع زبانيته قد أصبحت قريبة منهم تتراءى لهم، وما هي إلا مسافة لحظات

حتى يكونوا في قبضتهم، يُمزَّعون تحت صليل سيوفهم. ومما يزيد الأمور تعقيدًا، ذاك البحر الواقف بكل عنفوانه وجبروته في طريقهم، فكيف النجاة؟ وإلى أين المفر؟ إنهم - ولابد - مُدرَكون بما لا يدع لأحد ذرة شك في النجاة. فتتعالى صيحاتهم في يأس قاتل: (إنا لمدركون)، فيُصرفون عن اليقين فيما عند الله وفي شهود قلوبهم عجائب صنيع الله.. إلى التأكيد على قلة حيلتهم وعلى نهايتهم المحتومة، فلا يألون في ذلك جهدًا للتعبير عن إحباطهم باستعمال حرف التوكيد "إن" و "اللام المزحلقة" لمزيد تأكيد على جزعهم، وعلى فراغهم من النجاة، فضلًا عن النصر. حتى إذا بلغ اليأس بهم مبلغَه، وبلغت القلوب الحناجر، وسلموا لأمر هلاكهم؛ أتت بشارات النجاة بحروف المؤمنين الصادقين الأصفياء، الواثقين في خزائن جود الله، وفي لطفه - سبحانه - وتقديره النجاة لأوليائه، وظهورهم على أعدائه، المستشعرين لمعية الناصر - سبحانه - ؛ تأتي صادقة واثقة مجلجلة: (كلا، إن معي ربي سيهدين) يزجر بها موسى - عليه السلام - الجازعين من متبعيه، الظانين في الله ظن السوء، المذعورين من لحوق فرعون وجنوده بهم. ليفرِّغ كل يقينه ويُنفِّس كل ثقته في "سين" الاستقبال: سيهديني ربي - من غير شك ولا ارتياب - إلى ما سيكون سببًا في السلامة

والنجاة، وفيها سيبقى عبرة؛ لما بعد من الأجيال.. خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مستأثرًا بهذه الهداية، فهو القائد، والأمر الذي به ستتم النجاة هو من المعجزات الخاصة بالأنبياء، ثم إن إيمانهم لم يَهْدِهم إلى الثبات واليقين فيما ضمنه الله لهم من معية، وما كفله لهم من كلأ، وما منَّ عليهم به من عناية ولطف، وما وعدهم به من نصر. وكلٌّ يؤتَى حسب قوة إيمانه وصلابة دينه، وتعلق قلبه بالله، وبما عند الله.

- فيا أيها الفرح، ادخل علينا من أبواب متفرقة، وضَعْ صُواعَ الأمل في رحالنا لعلنا نصبح أسراه، وأَوْف لنا الكيل، وزدْ، وتصدّق علينا، وارْوِ أرواحنا العطشَى للبسمة وللرجاء، وارْمِ علينا قميص البشارة نرتدد بعد طول همٍّ سعداءَ، وأخرجنا من سجون أنفسنا الضيقة الكئيبة الغرقى في لُجج الضعف والحزن والهوان، وآونا إليك، وارفعنا على عروش المحبة والأمان والحنان، والثقة فيما عند الكريم المنان.

الفهرس